أمين العزب

ألم يخلقها الله امرأة



رواية



ألم يخلقها الله امرأة

رواية

أمين العزب

الطبعة العربية الأولى : ٢٠٠٠

رقم الإيداع : ٢٢٦٢/ ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-291-187-6



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل .
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشره وتوزيعه .
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

◆

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

المشرف العام على السلسلة الأدبية

خيرى عبد الجواد

الجمع والصف الالكترونى
مركز الحضارة العربية
تنفيذ : شريف على

٤ ش العلمين عمارات الأوقاف
الكيت كات - القاهرة ت : ٣٤٤٨٣٦٨

أمين العزب

ألم يخلقها الله امرأة ؟

رواية



إهداء

أهدى ..

كتابى الرابع الذى يحوى روايتى

(ألم يخلقها الله امرأة)

إلى ..

الهيئة العامة لتنظيم الأسرة .

كما أهديه أيضًا إلى كل أسرة

أمين العزب

رضوى ابنة الرابعة عشرة من عمرها وهى فى السنة النهائية من مرحلة الدراسة الإعدادية ..كاملة الأنوثة .. لا تشكو من قصر القامة ولا من طولها.. ولا تشكو أيضًا من النحافة ولا من البدانة .. فطولها وحجم جسدها فى المتوسط .. رشيقة القوام . جميلة الهندام .. خفيفة الدم .. مرحة .. اجتماعية .. تأخذ على أى إنسان يتحدث معها للمرة الأولى فى سرعة مذهلة وكأنها تعرفه منذ زمن بعيد .. حديثها شيق جذاب كما أن تقاطيع جسمها أيضًا جذابة وتقاطيع وجهها وملامحها الدقيقة والرقيقة تأسر أى إنسان وتجعله ينظر إليها.. لها شعر ناعم فاحم كسواد الليل ثائر فوق رأسها لايستقر .. ولها عينان واسعتان كعيون البقر .. سوداوان.. يتوه فى بحورهما العميقة التى ليس لها نهاية .. كل من تسول له نفسه ويطيل فى النظر إليهما والإمعان فيهما ..

وكان هو واحداً ممن سولت لهم أنفسهم النظر إلى عينيها والإمعان فيهما.. بعد أن أسرته بنظرة رمقته بها وهو خارج من كلية ضباط الشرطة بالعباسية كطالب فى السنة الأولى فى الأجازة الأسبوعية مساء الخميس .. وارتاحت له ، وارتاح لها ..وتبادلا النظرات .. وتعالت دقات القلوب .. وتعددت اللقاءات بينهما ، وكل منهما صرَّح للآخر بأنه له، وأنه حبه الوحيد الذى سيظل إلى الأبد ، وأخذتهم الأحلام الوردية التى تطيح بعقول الشباب.. وتصور الاثنان .. أن حبهما خالد كحب قيس لليلى .. وعنتر لعبلة .. وجميل لبثينة .. وروميو لجوليت وكل قصص وروايات الحب وغرام العاشقين بالطبع . كل هذا كان تفكيراً صبيانيًا وأحلام مراهقة.. لأنهما فى سن صغيرة هى أربعة عشر ربيعًا .. وهو فى التاسعة عشر ربيعًا.. لم تنضج بعد عواطفهما ومشاعرهما وأحاسيسهما ..

فى هذه السن الصغيرة تكون المشاعر والعواطف عشوائية مندفعة

طائشة.. والأحاسيس متأرجحة لا تستقر على حال .. ولا توصل صاحبها إلى التفكير السليم .. الذى يهدى إلى الخير ..

***

ومنذ اللحظة الأولى التى وقع بصرها عليه . أحست أنه يغمرها بفيض من الحب والعطف والحنان المتدفق .. الذين يزيدون عن حاجتها . فأرسلت إليه أجفانها شكراً اخترقه.

وكان عليه أن يصمد ويقاوم .. حقيقة أن فى عينيها أنوثة لا تقاوم . وعلى ملامحها نضارة مشعة، وعلى شفتيها الممتلئتين دعوة مستقرة. لكنه لم يعرف عنها بَعْدُما يحفزه. حتى على الكشف لها عن إعجابه ، وأسقط بصره حياءً .. وبعد ثوان يبتسم لها وسحبت بصرها من عليه تريد أن تتجاهل رغبتها .. تأكيداً لحيائها وتدعيمًا لصيانة أنوثتها .. ثم فجأة يتوهج وجهها . فإذا بالفرحة والثقة يضفيان عليها بهاء ، ضاعف من حسنها . وشحذ رموشها فزادت فتنتها المتميزة . وسلطت قوة شخصيتها . والثقة المطلقة على من حولها . حتى لا تضعف بعد أن أحست بقيمة نفسها . وأنها مرغوبة من الرجال . ترى الإعجاب بأنوثتها يتدفق من ملامح الرجال وعيونهم ..

ومضت الأيام. وليس بينهما سوى النظرات المتبادلة. فإذا ما أحس كلاهما أن نظراته بدأ يداخلها ما يكشف عن المكنون فى القلب.طار من على الأرض كالفراشة محلقًا فى السماء فرحًا تغمره السعادة والغبطة والسرور .

وذات يوم وهو معها فى نزهة بريئة . أمسك يدها واستبقاها بين يديه وسرى الدفء فى أصابعها ورمقته بنظرة تملؤها السعادة والفرحة .. وضغطت على يده .. وفاضت عيناها بالحب .. وكادت تفضحها ، بأن تشكو له ما تكابده وما تعانيه من حبه ورمقها بنظرة تفوح منها الرجولة .. والصحة والشباب كما وأنه يقول لها أنه قادر على إسعادها ومتعتها .. ثم رمقته هى الأخرى بنظرة مزدحمة بالأنوثة والإغراء الهادئ المستكين .

فأسرع يملأ نظراته بالحب والعطف والحنان مؤكداً لها أنه يحبها حبًا لم يسبق أحد أن أحبه .. وهنا قد تنبهت بأن الوقت فات .. ثم نظرت فى ساعة يدها وقالت فى اندهاش وتعجب شديدين :

- لقد تأخرنا كثيراً يا نبيل .. جرى الوقت وفات .. من يصدق أننا مكثنا فى هذا المكان أربع ساعات .. ولم نحس بمرورها .

قال نبيل : هكذا يا حبيبتى .. الوقت يمر على العاشقين .. دون أن يحسون به .. إن عامل الزمن يكون مفقوداً لديهم لأنهم ينسون أنفسهم فى جلساتهم الشاعرية التى يتناجون فيها . وتخفق القلوب وتبوح بمكنونها وتأتى بما لديها من مشاعر وعاطفة وأحاسيس متأججة ..

قالت له فى عجالة :

- هيا .. هيا بنا أتريد أن نمكث أربع ساعات أخرى ..؟

وسارت معه .. وأصر على توصيلها إلى بيتها ووافقت بعد إلحاح منه .

وسارا جنبًا إلى جنب متشابكى الأيدى ، وأخذهما الحديث ليقطعا به ملل الطريق.

وقبل بيتها بعدة أمتار نزلت من السيارة الأجرة ، وودعته وسارت فى اتجاه البيت ، وتركته وحده وقد شيعها بنظراته التى كانت تستوعب كل عضو فى جسدها الفاخر . الذى تجاوز مرحلة النضج بقليل .. واستقر فى ذهنه أن يتقدم لأهلها ويطلبها للزواج .

***

إن رضوى لا تصحو من نومها قبل الساعة العاشرة صباحًا، فإذا ما استيقظت تثاءبت ثم تمطعت، وشرعت تنكمش وتنبسط على هذا الجانب تارة، وعلى الجانب الآخر تارة أخرى، وتستوى على ظهرها فتمد ذراعيها إلى مؤخرة السرير، لتعبث بقوائمه الخشبية الرفيعة، على نحو ما تصنع عازفة قيثارة، وهكذا حتى تنهض، وحتى تتبرم والدتها فتضطرها إلى النهوض .

إن رضوى كانت اليوم أكثر استسلامًا إلى تراخيها ، وما فيه من حركات وسكنات ، إذ كانت تستمتع بذكرى ليلة الأمس .. التى قضتها مع حبيبها نبيل الهجرسى ما كان أجملها ليلة فى الزورق الصغير ذى الوسائد المريحة، ومصباح البترول الخافت الضوء يتذبذب من السقف الواطئ المصنوع من نسيج القلوع ، والنسيم الهين اللين يسير بالزورق فى هوادة ، والموجات اللاعبة والمداعبة تؤرجحه فى رفق الأخوة يؤرجحون مهداً به مولود حديث الولادة ، والقمر بما يرى قرير العين ، ويسرف فيما أوتيه من فتنة وبهاء .

والشاب نبيل الهجرسى إلى جانبها يلف خصرها بذراعيه ، ويريق فى أذنيها كلامًا وحديثًا مرئيًا عن الحب والشوق ، وانتهى كل منهما بنشوة أفاضت بمشاعره وختمت بقبلة حارة أو ضمة قاسية ، تشعر الفتاة لأيهما بمثل مس الكهرباء ، وكانت أعمال نبيل مبهجة للحياة ، ويبرهن على ما يقول بتجاربه ومغامراته السابقة ، ثم يدفع البراهين . وتتراكض الساعات في غفلة منهما حتى ينتصف الليل فجأة . ولم يكن كل ما قاله نبيل عنها، فهى أيضًا لها فى الحب تجارب ومغامرات ، بالرغم من سنها الصغيرة إنما أنه نظم لها نزعتها ، كما جرى العالم إلى الأرقام المبعثرة فيلخص منها المعادلات، وبمعونة هذه المعادلات انحلت مشكلة المشاكل فى حياة الشابة رضوى الآن فى الخامسة عشرة من عمرها .. ولكن لها جسد امرأة فى الثلاثين من عمرها .

***

والدة رضوى ليس لها عشيق واحد بل لها أكثر من عشيق .. لأن زوجها أهملها رغمًا عنه ودون إرادته .. لأنه يعمل فى النهار وفى الليل فى الأربع والعشرين ساعة .. يقضى منها أكثر من عشرين ساعة فى العمل . والساعات المتبقية يرتاح فيها لأنه يعود من العمل متعبًا ومجهداً الجسد والنفس وبمجرد أن يضع رأسه على الوسادة يستغرق فى نوم عميق.. ويقوم

فى الصباح مسرعًا للخروج ليدور فى العمل كما يدور الثور فى الساقية لكى ينفق على جيش البنات الذى أنجبته له زوجته شريفة هانم ، ليس عنده وقت للسؤال عن البنات ، ماذا يفعلن ، وهل يواجهن أية مشاكل ، ومتابعته لنضوجهن ، ونضوج أجسادهن ، ونضوج تفكيرهن وتطورات تصرفهن ، وهل تصرفهن سليم أم به بعض الشوائب ولا يسأل عن الزوجة ولا عن حقوقها الشرعية .. ألم يخلقها الله امرأة بغرائز ومشاعر وأحاسيس؟

ولاعن تصرفاتها حيث إنها شابة فى الخامسة والثلاثين من عمرها .. لزواجها زواجًا مبكراً .

كانت كل جارحة في جسدها ترتعد ، فها هي ذى الأيام ترغمها على أن تدفع ثمن خيانتها لزوجها الذى ائتمنها على اسمه وعرضه وبيته ، وهو ثمن فادح . وراحت شفتاها ترددان دون وعى :

– أيمكن هذا .. ؟! أيمكن أن يكتشف زوجها هذه الحقيقة الشائنة المخجلة المؤسفة .

كانت ثلاثة أعوام قد انقضت على سقطتها الأولى.. والسقطة الأولى إذا ظلت خافية تغرى بسقطات غيرها.. فانزلقت.. وجرفها التيار الذى لا يرحم ولكنها كانت ذكية، لبقة، حريصة دائمًا على أن تبدو أمام زوجها فى طهارة العذراء وكان المسكين لا يتمثل الطهارة والعفة والمناعة إلاّ فيها.. وكان ذكاؤها.. وكانت لباقتها.. وثقة الزوج المطلقة بها.. هذه جميعها حصونًا منيعة يرقد أمامها أى شك فى أمانتها يمكن أن يتطرق إلى خياله يومًا.

***

ولكن ، هاهى ذى تلك الحصون علي وشك الانهيار . تخلى عنها ذكاؤها وحرصها .. وغدرت بها لباقتها ، وأذا بها أمام دليل خطير سيبدد تلك الثقة الغالية التى كانت تحتمى بها إذ لا مفر من أن يكتشف زوجها – تلك الحقيقة المرة التى ستدك حياتها من أساسها .. لو أن هذا الرجل قال

لزوجها .. لقد توعدها وهددها بأنه سوف يقول لزوجها هذه الليلة حاولت من قبل قطع لسانه دون جدوى ، أعطته جسدها أكثر من عشر مرات لكى تسكته دون جدوى .. ودون فائدة .. المرات العشرة التى نالها فيها . كان يقول لها فى كل مرة أن هذه هى آخر مرة .. ولا يَصدق فى أى مرة .. ولما وجدته لا يشبع.. ويلهو ويلعب بها .. بدأت فى المرات الأخيرة أن تمتنع عن إعطائه جسدها.. ولكنه يستعيدها بتهديده لها .. وكانت ترضخ لتهديده خوفًا من افتضاح أمرها.. ولكن هذه المرة تضعف عن قرارها بامتناعها عنه.. وحدد لها الليلة التى سوف يتم فيها اللقاء والموعد فى العاشرة مساءً.. وإذا مرت خمس دقائق بعد العاشرة.. ولم تحضر له سوف يخرج من بيته متوجهًا إلى زوجها فى عمله ليخبره بأن زوجته تخونه مع صديق له سبق أن رآها معه فى شقته فى وضع يدل على ارتكاب جريمة الزنا ..

***

هى فى حيرة شديدة.. عرشها مهدد بالانهيار.. وهى تريد الاحتفاظ به .

لقد لعنت اليوم الذى رآها فيه فى هذا الوضع مع عشيقها .. وعرف هو بذلك .. من يومها أصبحت أسيرة له ولتهديده ، ولا يشبع منها أبداً .. ودائمًا متعطش لها فى كل الأوقات .. وجعل هذه الواقعة سيفًا على عنقها لكى ترضخ له ولتهديده .. وقررت بعد أن ملته وملت معاشرته لابد أن تتخلص منه بأى طريقة ..

وراحت تعمل فكرها ، فغرقت فى شرود عميق ، رفعت رأسها بعده وقد انفرجت شفتاها عن بسمة مطمئنة هادئة .. كأنها قد وجدت الطريقة التى سوف تتخلص بها منه .

لم تمض دقائق حتى كانت شريفة والدة رضوى تتأهب لمبارحة مسكنها قاصدة صديقتها فاتن .. فهى فاتنة اسمًا على مسمى فعلاً .. مريضة بمرض العصر . مرض الإيدز .

انفردت بها وتحدثا طويلاً .. واتفقت على كل شيء مع فاتن .

فاتن صديقة حميمة لها وكل منـهما لا تخفى عن صاحبتها أى شيء .. ولا حـتى أدق أسرارها وهى التـى قالت لهـا أنهـا مصـابة بمرض الإيدز .. ونهضت شـريفة وودعت صـديقتـها وقبـل أن تبرح المكان وتختـفى داخل المصعد الذى سيهبط بها ، همست فى أذن صديقتها قائلة :

- كونى حكيمة يا فاتن وكونى لبقة واستعملى كل أسلحتك .

وضغطت فاتن يد شريفة وهى تقول : اطمئنى .

***

ذهبت فاتن لإنجاز المهمة التى كلفتها بها شريفة .. وغابت ساعتين .. ثم عادت فاتن لشريفة لتخبرها بإنجاز المهمة على الوجه الأكمل ..

قالت لها شريفة !

- ماذا قال لك ..؟

- سألنى عنك .. وقال لماذا لم تأت هى..؟

- وماذا قلت له ..؟

- قلت له أنك مسـافرة .. وأرسلتينى بدلاً منك فى الموعـد حتى لايقلق وينفذ تهديده .

- ماذا قال لك ..

- قال : أنبه عليك وأقول لك على لسانه ألا تتخلفى عنه المرة القادمة..

- قد بلع الطعم المغفل .. ولم يعد هناك مرة قادمة ..

قالت فاتن فى سخرية وتهكم وهى تضحك :

- اقرئى عليه الفاتحة مقدمًا

***

وفى اليوم التالى بدأ التعس يعانـى من آلام حادة لم يألفها بعد أن نقلت إليه صديقتها فاتن العدوى ..

كانت الداهية تراقبه دون أن يخطر بباله أنها تراقبه، فليس هناك ما يدعو لهذه المراقبة.. وإذ تأكدت أن خطتها مع صديقتها المخلصة فاتن قد أثمرت.
هنا ظهر على وجهها الارتياح وحدثتها نفسها قائلة :
- لقد ارتحت الآن ..؟
- نعم ارتحت ...
ارتحت بعد أن ساعدتني في نقل العدوى بهذا المرض الخطير .لهذا الرجل المسكين .. ؟ لقد أتعبتني معك .. يا لك من سافرة وفاجرة تساعدين في قتل نفس .. حرم الله قتلها..
- هو الذى أتى به لنفسه .. على يدك ، لقدحاولت أن أتخلص منه بالحسنى فلم أوفق .. فقد ازداد في عناده وازداد في تهديدى .. وأصبح خطراً عليّ . إن عرشي سوف ينهار لو نطق هذا الرجل بكلمة واحدة لزوجي.. ومن أجل أن أحتفظ ببيتي والجلوس تحت عرشي .. يجب أن أتخلص منه بأى صورة فتخلصت منه بالمثل الشعبى الذى يقول (اتغدى بيه قبل ما يتعشى بيك ..)

***

كانت الشقة في الطابق السابع والمصعد معطل .. عرفت ذلك شريفة هانم والدة رضوى من عم صالح البواب .. فسلمت أمرها لله وصعدت سلم العمارة على قدميها .. وفي الدور السابع توقفت أمام باب الشقة المقصودة وضغطت على زر الجرس .

***

فتح لها الباب رجل وسيم فارع الطول أبيض البشرة ، ووجهه به حمرة خفيفة ، وله شارب مهذب ، وشعر منسق سائح ، وهو في حوالى الخامسة والثلاثين من عمره .
كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة مساءً عندما سمع جرس الباب

الخارجى للشقة يدق .. فتصور الطارق هو جاره القاطن بالشقة المجاورة لشقته جاء لزيارته .

وعندما فتح الباب خاب ظنه وتصوره ..حيث وجد سيدة على عتبة الباب بدت في الضوء الشاحب غريبة لم يبد له أن رآها من قبل عند الأستاذ علاء الدين محمود .. وعندما رأته أمامها أصابتها الدهشة كما أصابها الاستغراب وسألته قائلة لتصورها أنها أخطأت فى باب الشقة :

– هذه شقة الأستاذ علاء الدين محمود .. ؟

– نعم .. هى بعينها يا هانم ..

– وهل هو موجود .. ؟

– لا .. لقد سافر منذ أيام إلى الخارج يصحب والدته المريضة

– ومتى يعود .. ؟

– لا أعرف يا هانم .. ولكن من ظروفه وشدة مرض والدته أعتقد أن سفره سوف يطول .. لأنه سوف يُجرى لوالدته بعض الفحوصات والتحليلات والإشاعات .. وربما بعد ذلك تدخل المستشفى للعلاج ..

وبدا عليها الوجوم والارتباك الشديد والقلق، وبدت وكأنها غارقة فى بحر ليس له قرار.. وهى فى دوامة تكاد أن تفقدها وعيها بعد أن غاضت تعابير وجهها فى لحظة القلق المتزايد، قال لها الرجل لما رآها على حالها هذا:

– اتفضلى استريحى يا هانم ..

وظلت واقفة فى مكانها ساندة رأسها بيدها مترددة فى الدخول ..

وقطع عليها الرجل هذه الحيرة بأن تناول حقيبتها ودخل بها إلى الشقة.. ودخلت وراءه وجلست فى الصالة ساكنة لا تطرف .. وكان باب الشقة الخارجى لا يزال مفتوحًا ..

لا يدرى لم تركه هكذا مفتوحًا .. لعله كان يود أن يبعث فى نفسها الاطمئنان حتى تستريح له فتأخذ عليه بالتدريج ..

وبعد حديث قصير دار بينهما تحركت وأغلقت باب الشقة كماكان .. وعرفت السيدة شريفة هانم علاقة الرجل الموجود بالشقة بالأستاذ علاء الدين محمود .. وكيف أعطاه مفتاح الشقة قبل سفره ليحل محله فيها حتى يعود من السفر .. وقالت السيدة للرجل أنها قادمة من الإسكندرية فى قطار الليل . لتقضى بعض الأشياء الخاصة بها غداً فى الصباح وبعدها سوف تعود إلى الإسكندرية ، وأنها اعتادت أن تنزل فى هذه الشقة كلما جاءت إلى القاهرة .. لأن الأستاذ علاء الدين صديقها من عشر سنوات .

قال لها عن طيب خاطر :

- يسرنى أن أترك الشقة لحضرتك المدة التى سوف تقضينها ..

- أنا لا أستطيع أن أنزل فيها وحدى ..

- لماذا .. ؟ أنا سآتى لك بكل ما تحتاجين إليه .

- ليست هذه المسألة .. أنا أخاف أن أقيم فيها وحدى فلم أعتد مثل هذا من قبل .

- أنا تحت تصرفك يا هانم ..فانظرى ما تأمرين ..

- لا تشغل بالك وسأتدبر الأمر بعد أن أستريح قليلاً .. فلى صديقة فى الدقى وقد أذهب إليها ..

وصمت .. لم يجد من اللياقة أن يعلق على قولها .. أو أن يعرض عليها المبيت معه فى أول لقاء معها ..

ودخل المطبخ وقدم لها كوبًا من عصير الليمون صنعه لها بيده ، وكان حريصًا كل الحرص على أن يتقنه وجاء متقنًا للغاية وسألها .. وهو يراقب شفتيها بعد أن تناولت أول رشفة :

- هل السكر مناسب .. ؟

- جداً .. أنا لا أستطيع أصنع مثله ..

وابتسمت .. وقالت وهى تدير عينيها فى المكان

- لقد جاء علاء بأشياء جديدة في الشقة يبدو هذا والشقة جميلة وعلوها يجعلها ممتعة في ليالي الصيف .. الهواء رطب ومنعش وأخذا يتحدثان في كل الشئون .. حتى انقضت ساعة وهي مسترخية على الكرسي الطويل الشذلون ورآها تنهض فجأة فارتجف قلبه .. ولكنها تناولت حقيبتها ودخلت بها غرفة النوم .. والرجل أدرك أنها غيرت رأيها وقررت البقاء .

***

ولاحظ من تحركاتها في الشقة أنها تعرف كل ركن فيها ..

دخلت المطبخ ثم الحمام ..ورفعت حصيرة النافذة لتدخل الهواء البحري .. وسوت زهرية على الطاولة ، كل ذلك في حركات سريعة نشطة.. مما يدل على أنها لم تتعب من السفر .

وأغلقت باب الغرفة .. وأدرك الرجل أنها تغير ملابسها .. وجلس الرجل ليدخن سيجارة .. حتى سمع الباب يفتح وخرجت منه ترتدي ملابس بسيطة .. في غاية الأناقة ..

بلوزة بيضاء خفيفة على جونلة زرقاء .. ومن غير جورب وفي قدميها حذاء سنجابي مكشوف .. وسوت شعرها قليلاً.. وتركت كل شيء بعد ذلك بشكله الطبيعي ، وكل ما بقي من أثر التزين هو أحمر خفيف على الشفتين .. وكان يرف على الخدين شحوب خفيف لعله من ظل الفستان الأسود الذي كانت ترتديه منذ لحظات ولعله من علة في المرارة .. ولكن في العينين السوداوين بريق يفيض بالحيوية والشباب ..

وقال لها الرجل :

- لا أظن تعشيت .. فهل تسمحين بأن نتعشى معًا ؟

- أين .. ؟

- هنا ..

- وهل عندك طعام .. ؟!

قالت هذا في استغراب !

- نعم عندى .. وعملى فى أسوان عودنى أن أخزن أشياء كثيرة فى الثلاجة ثم أخذت على التو تعد الطعام على المائدة الصغيرة فى المطبخ...

***

وجلسا متقابلين بعد أن وضعت بيدها الصحون والأكواب . وكان فى خلال الأكل .. ينظر لها كالمأخوذ إلى عينيها وشفتيها وحركة يديها .. وأناملها الدقيقة .. وهى تتناول هذا وتضع ذاك .. وبعد الطعام جلسا يستمعان إلى موسيقى هادئة ..

وبعد ذلك عرفها الرجل بأنه يعمل فى أسوان .. وجاء فى إجازة لمدة عشرة أيام يقضى منها ستة أيام هنا .. كما عرفها بأن الأستاذ علاء الدين محمود من أعز أصدقائه منذ الطفولة ..

وسألته قائلة :

- هل أسوان جميلة حقًا .. ؟

- جداً .. وقد خصتها الطبيعة عناصر ساحرة .. لا يوجد مثيلها فى مدينة مصرية أخرى ..

- إلى هذا الحد .. ؟

- نعم .. ألم تذهبى إلى هناك .. ؟

- أبداً .. مع الأسف ..

- لا .. لابد أن تذهبى هناك يا هانم وترى بنفسك السد العالى وعظمته.. إنه الهرم الرابع .

- أفكر فى هذا .. فى الشتاء المقبل .. ولابد أن أزورك فى أسوان .. ولا تنسى أن تترك لى عنوانك ..

- سأكتبه من الآن ..

وكتب اسمه بالكامل وعنوانه بوضوح فى ورقة تناولتها منه ووضعتها

في حقيبة يدها وهى تضحك ..

وبحركة بارعة منها قد عرفت منه اسمه ووظيفته ، وبحركة أبرع من حركتها فهم هو منها بأنها تزوجت زواجًا مبكرًا وهى فى الثانية عشرة من عمرها .. والزواج المبكر يحفظ لها صحتها وحيويتها ولا تظهر عليها أعراض الشيخوخة مبكرًا ، وإذا مشيت مع أولادها فإن الناس يظنون أنها أختهم الكبرى .

ولما جاء وقت النوم أبدت رغبتها أن تنام على حشية فى الغرفة الأخرى حتى لا يغير فراشه من أجلها ، ولكنه رفض هذا بإلحاح فانسابت إلى غرفة النوم بعد أن حيته برقة ..

***

وجلس الرجل ويدعى شريف أحمد المصطفى .. وكان هذا الاسم مفاجأة لشريفة هانم وضحكت من قلبها على الصدفة العجيبة التى جمعت شريف بشريفة .. جلس يدخن سيجارة فى الشرفة وأنوار القاهرة تتلألأ أمامه وقد جاوز الليل منتصفه .

كانت القاهرة الحالمة .. توحى فى هذه الساعة من الليل بالاسترخاء والمتعة .. وكانت هناك سيدة لم تتجاوز الخامسة والثلاثين من عمرها - ولكن من يراها يقول أنها فى الخامسة والعشرين من عمرها .. ولا كأنها حملت ولا أنجبت أطفالاً .. مازالت شابة كلها حيوية ونشاط - على قيد خطوات منه جميلة ومثيرة.. وفى عينيها تطل الرغبة ولكن رعاية للصديق الذى أنزله فى بيته لم يفكر فى أن يلمس عشيقته ..

كانت محرمة عليه حرمة الزوجة .. زوجة صديقه ومع ذلك فإنه اعتراه كمخلوق بشرى صراع رهيب ظل يشده إليها ويمنعه عنها ، وهو جالس وحده حتى اختلط عقله وتمزق ..

كان يتلفت يراها هناك على قيد خطوات منه لم يسع إليها .. بل ساقتها

الأقـدار له .. دون جهـد ما .. وقـد تكون لها نفـس الرغبـة التى عنده نفس السـاعـة ، بل نفس اللحظة ، ونفس الثـوانى .. ومن الحـمـاقـة أن يدع هذه الفرصة تفلت منه وقد جاء إلى القاهرة لـيتصل بالنساء كأول شىء يفعله .. إنه محروم منهن فى أسوان ..

وفى خلال الدوامـة التى عصفت بكيانه .. لمحـها خارجة بقـميص النوم إلى الحمام .. وتتبع خطواتها الخفـيفة فى الضوء الشاحب .. لـم تضىء نور الطرقة الصغيـرة المفضية إلى الحمام .. ومرت سـانحة فى الظلام عندما رأته أنه لازال صاحيًا وجالسًا فى نفس المكان الذى تركته فيه .. منذ ساعة ..

ولكن وهى راجعة من الحمام .. اقتربت منه وارتكزت خلف ضلفة باب الشرفة المفتوح وقالت بدلال وعلى وجهها تعابير المرح :

– ألا تزال صاحيًا .. ؟

– الجو لطيف فى الواقع .. والمنظر ساحر ..

– يعنى لأول مرة تراه .. ؟

– فى الواقع لأول مرة أراه فى هذا الجمال الباهر ..

– مهندس وشـاعر ..؟ كفاية شـاعرية وهيا إلى فـراشك لأنك ستنهض مبكرًا وتعد لنا الإفطار .. ؟

– حاضر سأنهض توًا..

وثنت وركـيـهـا وهى تقــول هذا الكلام.. ونظـرت نصف دورة.. وهى لاتزال ممسكة باب الشرفة فرأى خطوط حسنها ، وجـسمها الناصع البياض تحت القميص الشفاف الأسود . والتهبت حواسه وغشى بصره مثل الغثيان، وظل هكذا لحظات يسمع أنفاسها ويشم عطرها الذى تعطرت به قبل النوم.

ثم أخذت تنسـحب فى خفة ولين .. وقام شـريف بعدها لينام فى المكان الذى اختاره .

***

ولكن مرت ساعة كاملة كان مسهداً فيها على الحشية ، يتطلع إلى سقف الغرفة دون أن يغمض له جفن ، وكانت الصور تمر فى ذهنه كما تمر فى شاشة السينما .. متتابعة وبطيئة وكان قد ترك النور فى الطرقة مضاءً .. على احتمال أنها تنهض وتذهب إلى دورة المياه .

وأحس وهو راقد أن النور انطفأ فجأة وخيم الظلام .. على أثره سمع صوتها .. فأدرك أنها لاتزال صاحية مثله .. فقال لها :

– لا تنزعجى .. هذا عطل مفاجئ فى النور .. ما أكثر الأعطال المفاجئة فى الكهرباء ..

قالت له ، وهى ترتجف وترتعد من شدة الخوف :

– أرجوك أوقد شمعة إذا كان عندك شمع

– للأسف .. هذاهو الشيء الوحيد الغير موجود .

وأحس بحركتها وهى تتحرك فى الظلام تقترب من مكانه فنهض .. والتقى بها فى الصالة الفاصلة بين الغرفتين فمسكها شريف بذراعيه وبمجرد أن تلامسا وأحس بها قربه .. ثم شعر بصدرها كله يرتمى على صدره من شدة الخوف فتلقفها واحتضنها بعنف وأخذت شفتاه تبحث عن شفتيها..

***

فجأة أضاء النور فارتخت أعصابهما ، وأصابهما شيء من الخجل وجلسا متقابلين بالأنتريه الموجود بالصالة ومرت لحظات صمت طويلة بعدها فجأة ضحكا ضحك طفلين يحلمان بالفرحة والسعادة ..

وأخذا يتبادلان النظرات .. مرات ومرات ومن خلالها أحس الاثنان بسيال كهربى يسرى بين فؤاديهما .. كما شعرا بتجاوب مريح فاضت به أعينهما قبل أن تنطق به شفتاهما ، بأية همسة .. ونشأ انسجام كبير بينهما .. وأخذت الثوانى تزيده قوة ، وكأن هناك قوة خفية تدفع كل منهما نحو الآخر.. بعدها زال الخجل وتركا مقعديهما وجلسا على أريكة الأنتريه

متجاورين ، وزادت بينهما الهـمسات والضحكات وزالت الكلفة ، وبدأت الألفة .

ضمـها إلى صـدره وأخذت شفـتاه تبحـث عن شفتـيها .. فـوجدتهـما حارتين ممزوجـتين برضاب كالشـهد .. وراحا فى إعصـار القبلة المحمـومة وهما وقوفًا .. وجعلهما الضوء الشديد الذى أضاء فجأة وعنف الرغبة التى أججت عـاطفتـهمـا .. التى جعلتـهما لا يحـسان بما يجـرى فى الكون من حولهما .. استسلمت بكل ما فيها له ، وشرب من شفتيها حتى ارتوى .. ثم أخذ يقبلها فى وجهها .. وعنقهـا .. وصدرها.. وذراعيها .. يقبل كل قطعة منهـا ، ويملأ أنفـه بـعـبيـر أنوثتـهـا ، وهو يعـتـصـرهـا ويكاد أن يمزق جسدهاويحطم عظامها بذراعيه ..

***

وهدأت العاصفة .. ومن يومها لم تتركه .. كانت معه دائمًا كلما غاب عنها زوجها ، واتفقا معًا على أيام معـينة يلتقيان فيها ، وكان هو ينتظرها فى هذه الأيام فى لهـفة وشـوق شديدين ليلقـاها بين أحضـانه ليحـملهـا فوق ذراعيه المفتولتين إلى مخدعه المعطر ..

قالت له قبل أن تتركه وهى تجلس فوق ركبتيه سوف آخذ منك أقصى ما أريد من شبابك وحيويتك - أنا أحبك أكثر مما تحبنى أنت ..

ابتسم لها بفرحة طفل وجد دمية يلعب ويلهو بها ..

***

ومر عام على هذا الحب الأفلاطونى .. بعـدها جاءت رضوى إلى فتاها حبيبها الذى يذوب فى هواها ولا ينام الليل من شدة التفكير فيها .

فجـأة تخبره بأنـه جاء لها ابن الحـلال لخطبتهـا .. ووالدتها تعلم بقـصة حبهـا للشاب نبيل الهجـرسى .. هذا هو اسم فتاها حبيب القلب ووالدتها ووالدها أرسلاها لتخبر نبـيل بذلك .. لكى يسرع هو وأهله بالحضور إليهم

لخطبتـها قبل العريس المتـقدم ما يحـضر ويخطبها تصـرفات صبيـانية من والدتها ومن والدها

وقالت رضوى إلى حبيبهـا نبيل إذ لـم تحضر أنت وأهلك لخطبتي سوف أخطب للعـريس المتـقدم .. ونبـيل لا يمكن له أن يبت ويعطى لهـا رأيه ولا يصدر قراره دون الرجوع إلى والده ووالدته .

وعندما رجع إلى أهله وأخـبر والدته .. لأن والده يعـمل فى بلد أخرى داخل حدود مصر ، ولا يأتى من البلد إلاَّ مسـاء الخميـس من كل أسبوع . ويعود إلى هذه البلد فى صباح السبت من كل أسبوع ..

وطلبت والدته منه أن يحـضر رضـوى إلى البيت لتـراها ، وسعد نـبيل وفرح فرحًا شديداً معتقداً بأن أمه ستوافق وفعلاً قام نبيل بإحضار رضوى

نبيل ولد وحـيد فى هذه الأسرة ليس له أخ ولا أخت ، ومـدلل من قبل والدته ، ومفهومه عن الزواج مفـهوم محدود جداً .. ربما أنه يريد أن يتزوج وتأتى له بالعروس لكى يلهـو بها مثل أى دميـة أولعبة نحضـرها لكى يلهو ويلعب بها .

***

جلست والدته مع رضـوى جلسة طويلة وتحـدثت معـها حديثًـا طويلاً بدأته قائلة :

- لماذا أهلك يستعجلون لزواجـك زواجًا مبكراً هكذا ؟ إنك مازلت صغيرة على الزواج .

- والدتى تزوجت زواجًا مبكـراً .. وهى فى الخامسة عشـرة من عمرها وأنجبتنا فى حمل متكرر ولم يصبها سوء من هذا الحمل المتكرر بل بالعكس مازالت محتفظة بصحتها وشبابها وحيويتها . يقولون فى الريف إن زواج البنت المبكر يجعلها شابة إلى ما بعـد سن الستين من عمرها وإذا سارت مع أولادها فإن الناس لا تفرق بينهـا وبين أولادها لو جاء أى غريب عن

القرية رآها ماشية مع أولادها يقول أنها أختهم الكبيرة .

- كم أنجبت أمك من الأولاد ؟

قالت رضوى لها مفجرة مأساة الأسرة هذه :

- والدتى أنجبت عشر بنات .. والإحدى عشر رضيع على صدرها

- ولماذا أنجبت كل هذا العدد من البنات .. ؟

- للأمل فى إنجاب الولد ..

- وجاء الولد .. ؟

- لا .. لم يأت بعد .. ومازالت مستمرة فى حملها المتكرر أملاً فى إنجاب الولد الذكر ..

***

قالت أم نبيل لرضوى فى استغراب ودهشة بالغين :

- أنا أستغرب أشد الاستغراب وأدهش أشد الدهشة للإنجاب الكثير التى أنجبته والدتك .. ألم تسمع عن شيء اسمه تنظيم النسل بمراكز تنظيم الأسرة .. ، كما أننى فى أشد الاستغراب أيضًا من النساء اللائى يتركن أنفسهن للحمل المتكرر وراء بعضه دون راحة ، حتى يصبح عند كل واحدة منهن جيش من الأولاد سواء من الإناث أو من الذكور التى تنجب الإناث تريد ذكراً .. مثل والدتك والتى تنجب الذكور تريد بنتًا وهكذا .

قالت أم نبيل :

- كثرة التعداد فى الأسر المصرية أصبح كارثة كبرى لقلة موارد الأسرة والدولة المحدودتين .. هذا بالإضافة إلى انتشار البطالة وغلاء المعيشة ..

كما أن كثرة الأولاد ليست عبئًا على رب الأسرة وحده .. بل تصبح أيضًا عبئًا على الدولة .. لما تحتاجه من خدمات .. ومدارس ومستشفيات.. ومكاتب صحة .. وزيادة التموين .. وزيادة فى دخل الأسرة . مسكين والدك يا رضوى .

وماذا يفعل والدكن للإنفاق عليكن . وأفواه إحدى عشر بنتًا مفتوحة للطعام .. ثلاث وجبات يوميًا .. كيف يكفيهن والدك من طعام وملابس عند دخولهن المدارس كل عام .. ومصروفات مدرسية ..؟ وثمن كشاكيل وكراريس .. وكم يدفع للدروس الخصوصية .

قالت رضوى :

– وهذه وحدها تستنفذ أكثر من نصف دخل الأسرة .

قالت أم نبيل : ماذا يعمل والدك .

– والدى يعمل مهندسًا كهربائيًا فى إحدى شركات القطاع العام ، ويخرج من هذه الشركة ليذهب إلى عملين من الأعمال الحرة نظام ورادى.

قالت والدة نبيل لنفسها ، وكأنها تكمل لرضوى :

– آه ويدور الثور فى الساقية كل يوم ليطعم كل هذه الأفواه المفتوحة ، ثم قالت لرضوى :

– وكم ترتيبك أنت بين إخوتك البنات .. ؟

– الأولى

– أنت أكبرهن إذن ..؟

– نعم ..

– وماذا عندك من العمر .. ؟

– خمسة عشر ربيعًا ..

– وما أعمار باقى أخوتك البنات .. ؟

– ست منهن أصبحن عرائس وفى سن الزواج .. وينتظرن العرسان ..

– كيف .. ؟

– كما يقولون جئنا فوق رءوس بعضنا .. ما بين كل بنت والأخرى .. شهور الحمل فقط ..

– ألم يكن هذا عبئًا كبير أعلى كاهل والدك .. ؟

- نعم .. وهذا هو سر سرعة زواجنا زواجًا مبكرًا لكى سخفف هذا الحمل الثقيل عليه.

- ومن أين والدكن يزوجكن .. وظروفه وحالته المالية صعبة هكذا ؟

- نحن اللائى نزوجن أنفسنا ..

- كيف .. ؟ ألديكن دخل يخصكن .. ؟

نعم كل بنت منا تعمل فى أعمال حرة بجانب دراستها .. تساهم بجزء من دخلها فى مصروفات البيت .. والباقى تتدخره لتجهيزها به عند الزواج.

قالت والدة نبيل بخطأ غير مقصود :

- ألم يأن الأوان لكى تكف الأرنبة أمك عن الإنجاب ..

قالت والدة نبيل بعد أن تداركت هذا الخطأ غير المقصود :

- أنا آسفة .. لقد أخطأت دون قصد .. ؟ وأيضًا أكرر أسفى

قالت رضوى لوالدة نبيل :

- أبدًا يا ست هانم .. لقد قلت الحق والصدق .. هى فعلاً كالأرنبة فى حملها المتكرر هذا . وتقول لها فى غيظ شديد :

- ولم لا تنظم نسلها ..

- ولكنها كانت تعاند وتكابر حبًا فى الولد الذكر والحصول عليه ..

- ومازالت تعاند وتكابر .. فى سبيل الوصول إلى الولد الذكر ؟

- لا .. لقد توقفت عن عنادها ومكابرتها.

قالت أم نبيل ساخرة :

- توقفت بعد خراب مالطة

وفى النهاية أقنعتها والدة نبيل بأن ابنها مازال صغيرًا على الزواج ومازال أيضًا تلميذًا يأخذ مصروف يده من والده . كما أننا مازلنا نطعمه ومسئولان أنا ووالده للإنفاق عليه .. وليس من المعقول أن نزوجه الآن وننفق عليه وعلى زوجته وعلى أولاده إذا أنجبت عروسه

الزواج يحتاج وقت كبير .. وأموال كثيرة غير متوفرة الآن . لا يمكن أن نزوجه قبل أن نطمئن عليه وعلى مستقبله .. أولاً يحصل على مؤهله الذى سوف يشق به طريقه فى الحياة وحصوله على وظيفة ثابتة ومضمونة فى وزارة الداخلية وهذا لن يكون قبل - وفكرت قليلاً ثم استأنفت كلامها حيث قالت لها - لن يكون هذا قبل خمس سنوات على الأقل .. بل على أقل القليل .. وربما تزيد المدة عن عشر سنوات .. ونصحتها أن تتم تعليمها وتحصل على مؤهلها أولاً ..لأن هذا هو سلاحها الذى تواجه به التحديات التى تواجهها وما أكثرها ..

وخرجت وهى فى دوامة من التفكير وحدها دون مصاحبة نبيل لها لتوصيلها .. بناءً على تعليمات والدته حتى لا تنفرد به وتعصيه على أهله.. وأطاع أمرها ولم يخرج معها عندما خرجت .. كما أمرته بقطع صلته بهذه الفتاة ، ولا يكلمها ويتسكع بها فى الطرقات والشوارع تحت اسم الحب .

***

المرأة ليست المسئولة عن تحديد نوع الجنين بالمرة .. ولكن بعض النساء الجاهلات يجهلن ذلك وبمفهومهن واعتقادهن الخاطئ يحملون أنفسهن هذه المسئولية..

ويتركن أنفسهن للحمل المتكرر لإنجاب الذكر أو الأنثى .. التى تنجب الإناث تريد الذكر ، والتى تنجب الذكور تريد الأنثى .. وهكذا يظل مسلسل الإنجاب عرض مستمر وفى النهاية لايأتى الذكر لمن تريده ولاتأتى الأنثى لمن تريدها ، ويصبحن عندهن جيوش من الإناث والذكور .

وأعيد وأقول أن المرأة ليست هى المسئولة عن تحديد نوع الجنين .. هذا غير صحيح بالمرة .. كما أن بعض الرجال يحملون المرأة مسئولية تحديد نوع الجنين .. لأمور ثلاث إما لإرضاء غرورهم وكبريائهم ، وإما عن جهل.. وإما للزواج عليها من امرأة أخرى ، متخذين ذلك حجة ومبرراً

للزواج الثـانى.. علمًا بأن جـميع الأطبـاء والأساتذة المتـخصـصـين فى علم الأجنة أثبتـوا أن قدرة الله عز وجل أولاً هى المسئـولة عن تحديد نوع الجنين حيث قال تعالى فى كتابه العزيز :

بسم الله الرحمن الرحيم «يهب لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء الذكور .. أو يزوجهم ذكرانًا وإناثًا ويجعل من يشاء عقيمًا » صدق الله العظيم .

ثم يأتى دور الرجل بعـد ذلك حـيث أنه هو الذى يضع البـذرة فى رحـم الزوجـة .. رحـم الأم ما هو إلا وعـاء تحفظ فـيه البـذرة مدة شـهور الحـمل وبعدها يحصد الرجل ثمار بذرته سواء كان ذكراً أو أنثى .

وقد قال الله عز وجل فى كتابه العزيز :

بسم الله الرحمن الرحيم «نساؤكم حرث لكم فـائتوا حرثكم أنَّى شئتم وقدموا لأنفسكم» صدق الله العظيم .

فالأم كالأرض تخرج ما يوضع فـيها من بذور.. وهذه الحكاية تؤكد لنا ذلك .

وهذه حكاية من البادية خلدتها لنا كـتب التراث والأدب ، فها هو ذا أبو عثمـان عمرو بن بحر الجـاحظ ينقل لنا فى كتابه البيـان والتبيين * ، يقول : ولبغض البنات هجر أبو حـمزة الضبى خيمة امرأته وكـان يقيل ويبيت عند جيـران له، حين ولدت له امرأته بنتـاً، فمر يومـاً بخبائـها وإذا هى ترقصـها وتقول :

مـا لأبـى حـمـزة لا يـأتينا	يظل فى البـيت الذى يلينا
غــضـبـــان ألا نلد البـنينا	تالله مـــا ذلك فى أيـدينا
وإنما نـأخـــذ مـــا أعطيـنا	ونحن كالأرض لـزارعينا

نـنبت ما قد زرعوه فينا

قال : فغدا الشيخ حتى ولج البيت فقبل رأس امرأته وابنتها .

---

* البيان والتبيين ١/ ١٨٦، وانظر أيضاً العقد الفريد٣/ ٤٨٢، وتفسير القرطبى ١٦/ ٧٠.

.. ومن كتب الأثر وكتب التراث الإسلامى أخذ كل علماء العالم جميع الكتب فى علم النفس .. والطب الإسلامى الحديث .. والهندسة وكافة العلوم من الحضارة البدوية العربية القديمة .. التى كانت موجودة بالفطرة من أهل البداوة .. لذلك نجد علماء علم النفس .. والطب الإسلامى الحديث .. والهندسة وعلماء الأجنة يأخذون بقول هذه المرأة البدوية .. ويجدونه موافقًا تمامًا لأبحاثهم .. بل بالعكس .. أبحاثهم ونظرياتهم هى التى وافقت قول هذه المرأة . لأنها قبلهم بآلاف السنين .

***

إن نبيل لايميل بطبعه إلى العنف .. كذلك رضوى لكنهما استنفذا كل الأساليب السليمة دون جدوى ظلا يلتقيان سراً خلف أستار البراءة والاستسلام . اطمأنت والدة نبيل وهدأت شكوكها الغريزية وظنت أنها كسبت المعركة . لكن نيران الهوى كانت تتأجج تحت رماد الخضوع الزائف.

وقال لها نبيل فى اطمئنان ليطمئنها :

– ثقى يا رضوى أن السماء ترعى حبنا الكبير وتبارك هدفنا الشريف . إننا نمارس حقًا شرعيًا ، تقره الأديان كلها وتسمح به قوانين الإنسان . والمطلوب ألاَّ نيأس .. وتظل المحاولة مستمرة ..

– لا تشغل بالك أنت يا حبيبى .. أما عن حماتى فلى معها شأن آخر بعد أن يهدأ غضبها سأذهب إليها وأسترضيها وأعتذر لها .

إننى لا أضمر لوالدتك أى حقد ، أو أى سوء . أنت تعرف لماذا يا نبيل..؟

– لا ..

– بجد ألاَّ تعرف لماذا ..؟

– لا.. يا رضوى ..لماذا إذن .. ؟

- لأنها والدتك يا نبيل وعندما أرضيها .. كأنى أرضيتك أنت ..

- يا رضوى .. والدتى عندما تلمس صدق عاطفتنا ، ووفائنا لبعضنا سوف تبارك حبنا يا حبيبتى يا حلم حياتى .

وشرد نبيل وهو راكب معها السيارة الأجرة ومعها أختها تهانى ..

إن حب نبيل لرضوى جعله يحب الناس جميعًا ويشعر بفيض من الحب لكل الناس ، وأحس بنشوة طاغية تغمر كيانه ، والسيارة تطوى آخر رحلة بسرعة فائقة كأنها تطير فوق الأرض . وضوء مبهر يظهر من بعيد . الضوء يقترب .. من دائرة الضوء .. تلسع جسده يقشعر كأن سعادة الدنيا والعمر كله تبلورت فى لحظة ..

الضوء المبهر يتقدم ..لايرى شيئًا من حوله . كأنه يحلق فى مركز الشمس .. وصل إلى حالة انعدام الوزن .. دوى هائل أصم أذنيه .. دمار يحتويه كأنه فى دوامة .. خدر لذيذ يسرى فى أوصاله ثم لا يحس بشىء بعد ذلك إلى أن وصل بالسلامة إلى بيت رضوى .

***

وعندما حضر والده من البلد الذى يعمل به حكت له والدته كل ما حدث بينها وبين المدعوة رضوى .. وقد حدثه والده حديث رجل لرجل أمام والدته .. لأنه لا يتعامل معه من منطلق أب لابنه .. ولكنه يتعامل معه من منطلق الصديق للصديق عملاً بالمثل القائل .. (إن كبر ابنك خاويه ..) بمعنى أن تكون له أخ .. لكى يصارحك بصدق عن كل ما بداخله ولا يدارى عليك شيئًا ..من هذا المنطلق حدثه والده قائلاً :

- أنا أحترم هذا الحب وأقدره لكن ..

قال نبيل بفزع شديد :

- لكن ماذا يا والدى .. ؟

- أنا وأنت تعودنا أن نناقش أى موضوع بجميع الوسائل التى تقنع كل

منا ، ونصل فى النهاية إلى اقتناع تام بما ينتهى إليه الرأى سواء كان هذا الرأى رأيك أم رأيى فى الموضوع الذى كنا نناقشه .. أليس كذلك ؟

- بلى ..

- وأنا فى هذا الموضوع لن أزيد على ما قالته والدتك لهذه الفتاة التى تدعى رضوى ..

قال فى دلال الولد المدلل :

- والدتى تسخر من قصة حبنا ..

- هذه ليست سخرية بالمرة .. ولِمَ تسميها سخرية ..

- ماذا أسميها إذن .. ؟

- سميها .. حرصًا على مستقبلك .. ووالدتك تصرفت بحكمة واحتوت الموضوع قبل أن ينفجر الموقف ، وأنا أشك من تهافت أهل البنت عليك ، وإصرارهم على تزويجك هذه الفتاة وفى هذه السرعة المذهلة .. وفى هذه السن الصغيرة .. أن تكون هذه الفتاة قد غرر بها شاب طائش وضحك عليها باسم الحب بعد أن أدار رأسها.. وأدار لها اسطوانة مشروخة بكلام معسول عن الحب .. وهى فى هذه السن الصغيرة ومعدومة الخبرة والتجارب .. ثم وعدها بالزواج فسقطت فى النار كالفراشة من شدة الضوء المحرق دون أن تدرى .. واعتدى عليها هذا الشاب اعتداءً جنسيًا فض بكارتها به ، وأفقدها أعز ما تملك الفتاة وقال نبيل لوالده فى تأثر شديد :

- لا يا والدى .. لا تقل هذا الكلام عن رضوى .. رضوى أطهر فتاة على سطح هذه الأرض ..

احتوى الأب غضب ابنه نبيل وتأثره قائلاً :

- اهدأ يا ولدى .. أنا يا ولدى فى كلامى لم أؤكد ما يسىء لها ولسمعتها .. أنا أقول مجرد شك واحتمال .. احتمال أن البنت تورطت مع

أحد الشباب وغرر بها ولم يعثر أهلها عليه .. فأرادوا أن يزوجوها لأى واحد قبل أن تفوح رائحتها ، والناس تعرف حقيقتها ولايقبل أى شاب عليها ويطلبها للزواج ..

هم يبحثون عن شاب يلصقوها فيه .. وإذا انكشف أمرها بعد الزواج.. سوف تصر هى وأهلها أنك الفاعل وكلامها وكلام أهلها مصدق عند النيابة والقاضى وتحبس على ذمة التحقيق وبعدها على ذمة القضية وفين على مايثبت كذب ادعاؤهم .. حتى هذا بعيد المنال .. لأن الطبيب الشرعى لا يعرف اسم المُعتدى الحقيقى.. هو عليه أن يثبت فى تقريره أنها اعتدى عليها والاعتداء فض بكارتها .. ولا يقول من الفاعل وفى النهاية تكون أنت ضحية ادعائهم .. ولكى يثبتوا شرف ابنتهم لازم لهم كبش فداء .. وأنت هو هذا الكبش .. صدقنى يا ولدى هذا ما يحدث فى الحياة.. صدقنى يا ولدى أنا أكثر منك خبرة .. وتجارب فى الحياة .

والحياة وقسوتها علمتنى أن أمشى بجانب الحائط وأعمل بالمثل الذى تردده الست والدتك دائمًا وهو (إبعد عن الشر وغنى له ولا تأنى له) .

وامتنع عن البنت ولقائها نبيل .. وأخذت رضوى تطارده بالخطابات ترجوه فيها أن يقابلها للمرة الأخيرة دون جدوى .. لم يعرها أى اهتمام خوفًا من أن يحدث ما لم تحمد عقباه عملاً بنصيحة وتعليمات والده .

***

لم يمر سوى أسبوع واحد على اللقاء الأول الذى تم بين والدة نبيل وبين رضوى ..

عادت اليوم رضوى للقائها مرة أخرى .. ولكن هذه المرة ليست وحدها.. بل جاءت ومعها أخوالها الاثنين وكذا والدتها ..جاءت هى ووالدتها باكيتين وفزعت والدة نبيل من بكائهن ..

فى أول الأمر سأل خال رضوى الكبير والدة نبيل عن والده قائلاً :

- أين والد نبيل .. ؟
قالت فى فزع وخوف :
- هو فى عمله فى المنصورة .. ولن يأتى قبل مساء يوم الخميس .
قال خال رضوى الكبير :
- إذن تسمحى لنا بالتحدث معك ..
قالت فى فزع وخوف شديدين :
- خير إن شاء الله ..أحدث من ابنى شىء أساء إليكم وأغضبكم .. ؟
قال الخال :
- لا .. لم يحدث شىء مما فكرت فيه .. لقد ذهب فكرك إلى بعيد ..
قالت بنفس فزعها وخوفها:
- إذن ماذا هناك .. ؟ ولماذا جاءت رضوى ووالدتها باكيتين ..؟
- نعم .. سوف أقل لحضرتك ..
- العريس الذى سبق أن تقدم لرضوى اعتذر عن الزواج بها ..
ردت والدة نبيل قائلة :
- لماذا .. ؟
الخال قال :
- لعلاقة ابنك نبيل بها .. وهذه العلاقـة كانت سببًا لعدم زواج العريس من رضوى .
- والمطلوب .. ؟
- المطلوب أن نبيل ابنك يتزوجها ..
يتزوجها فى أسرع وقت ممكن ..
قالت والدة نبيل بعد أن كشرت عن أنيابها :
- ولماذا يتزوجهـا من أصله .. ولماذا فى أسرع وقت ممكن .. أحدث منه شىء يجبره على الزواج منها بهذه السرعة .. ؟

- نعم ..

- ماذا فعل .. ؟

- سوء سمعتها بعلاقته بها.. لن نجد من يتزوجها بعد ذلك ..

قالت والدة نبيل فى تهكم وسخرية ..

- هو الذى سوء سمعتها .. أم هى التى سوءت سمعته .. زواج ابنتكم من ابنى نبيل يسئ إليه كثيراً .. وهذا لن يحدث أبداً .. اذهبوا وابحثوا لابنتكم عن عريس بعيد عنا ..

- أجئتم لترموا بلاءكم علينا .. ولدى ليس له دخل فى عدم زواج ابنتكم .

الخال فى انفعال شديد :

- لا .. له دخل وهو المسئول عن (وقف حالها)

قالت والدة نبيل فى غضب وانفعال شديدين

- لا .. هذه بلطجة (تلاقيح جتت) أنا سبق أن قلت لابنتكم إن ابنى لن يتزوج الآن .. وأمامه حوالى عشر سنوات ..بعد أن يتخرج من كلية الشرطة ويشق طريقه بعد أن يبدأ فى تكوين نفسه والاستعداد للزواج ..

وأصر خالها الكبير على أن يتزوجها الآن وبعد ذلك يفعل ما يشاء ..

وقالت والدة نبيل فى غضب وانفعال شديدين :

- أولاً أنا لا أزوج ابنى بهذه الطريقة الفجة والمقززة والمثيرة إلى الاشمئزاز والقرف .. ولماذا الإسراع فى الزواج .؟ ولماذا إلحاحكم فى تزويجها بهذه السرعة المذهلة هذا كله ليس له عندى غير تفسير واحد ..

قالت والدة رضوى مستفسرة من والدة نبيل :

- فما هو هذا التفسير الواحد :

- ان ابنتك بها عيب يستدعى زواجها بهذه السرعة .. وتريدون إلصاقها لابنى ليتستر عليها ..

وهنا قـامت أم رضوى وهى ذاهلة مما تـفوهت به والدة نبـيل .. وكأنهـا فجرت قنبلة أطاحت برضوى وأهلها ..

وقامت مشـادة بين أم رضوى وأم نبيل وتبادلتا الشتـائم والسباب وعلى أثر ذلك قامت أم نبيل بطردهم جميعًا من الشقة أشر طردة، وتوعد خيلانها الاثنان بالانتقام من نبيل .

***

وعندما خـرج ولدها من كلية الشـرطة فى إجازته الأسبـوعية ، وحـضر والده من عمله بالمنصورة مـساء يوم الخميس ..حكت لهما مـا حدث بينها وبين أهل رضـوى ..لقد سـمع والد نبـيل منها كـل ما حـدث بعدها أخـذ يحدث ولده قائلاً فى جدية وشىء من الغضب :

- ألم أقل لك من قـبل .. أن تبعـد عن هذه البنت .. أرأيت مـدى سوء أخلاقـهم .. ومدى مستواهم الوضـيع والهابط . هذه الناس من خـلال ما سمعته من والدتك غير جـديرين بأن نناسبهم .. واحمد ربك أنها أتت عند هذا الحد .. وهذه الواقـعة تجـعلنا وتجعلك أنت بالذات ..تحـرص ألف مرة على ألاّ تسىء الاختيار مرة أخرى.

هذه المرة قـد حـمـاك الله ورعـاك وأنجـاك واسلمك منهم ومن شـرور أعـمالهـم ..من يعلم المرة القـادمة مـاذا تخـبئ لك الأقـدار ..اللهم إنى لا أسألك رد القضاء .. ولكنى أسألك اللطف فيه ..

اسمع يا نبيل ..

- نعم يا والدى ..

- الذى أطلبه منك الآن .. ألاّ تتصرف بعد ذلك أى تصرف دون علمنا أنا ووالدتك لكى نوجهك التوجـيه السليم .. الذى يرضى الله عز وجل .. حتى لا يضيع مستقبلك بمثل هذا التصرف ..

قال نبيل لوالده فى أسف وندم شديدين :

- حاضر يا والدى .. وأنا آسف أشـد الأسف .. ونادم أشد الندم ..على مـا سببـتـه لكمـا أنت ووالدتى من إزعـاج بموضوع رضـوى .. وأنا أعـد حضـرتك أنت ووالدتى أنها لن تتكرر .. ولن أتصـرف أى تصرف من هذه الساعة دون علم حضرتك وعلم والدتى .. وأخذ رأيكما فيه ..كما أنى أعد حضرتك بأنى لن أفكر فى موضوع الزواج قبل التخرج وبناء مستقبلى..

الوالد لنبيل بسخرية وتهكم :

- ورضوى .. ؟

- لا .. رضوى قد انتهت حكايتها معى من هذه اللحظة ..

قال والده فى فرحة شديدة :

- أنت الآن ابنى الذى أعتز به .

***

ونبيل بعد أن أحس الموقف وما كـان مُقدمًا عليه وما كان سـيحدث قبل الزواج وبعده .. من سوء أخلاق أهلها ومستواهم الوضيع والهابط فكر فى كل هذا قبل أن يعطى لوالده كلمة رجل لرجل - كـما عوده - بالعدول عن زواجه من رضوى لذلك كان صادقًا وجاداً فى وعده لوالده ووالدته .. هذه المرة عندما وعـدهما بذلك .أخذ نبـيل خطوة إيجابية نحـو ذلك حيث قطع علاقـته برضـوى وامتنع عن لقـائها .. وداس على قـلبه من أجل مـستقـبله وضمان هذا المستقبل ..

فى أول الأمر رضـوى لم تستسلم لقـراره بالابتعاد عنهـا ، والعدول عن زواجه منهـا .. فأخذت تطارده دون جدوى لإعـادة علاقتهـا به .. وحاولت عـدة محـاولات باءت كلهـا بالفـشل .. وفى النهاية تـعبت دون فـائدة فى النهاية خمدت نيران حبها .. واقتنعـت ورضيت بنصيبها حيث إنها وجدت بأنه لا أمل ولا رجاء لعودته إليها ..

***

رضـوى عندما يئست من استعـادة نبيل لـها والزواج منه .. زوجـتهـا والدتها من رجل فيه فـحولة الثور .. جسده غير عادى .. فـهو ضخم الجثة عريض المنكبين وكله شـباب ونشاط وحيـوية .. وذو قوة لا يستهـان بها .. وهو قـادر على هدم جبل المقطم .. ورضـوى قالت فى نفسـهـا .. هذا هو الرجل القادر على إشـباعها وإرواء عطشهـا للحب .. كانت تحلم بذلك .. ومنت نفسها بذلك .. وبكل سعادة وغبطة وسرور معه ..

ولكن خاب حلمها وخاب ظنها ..

وأحست بأنهـا أخذت أكبـر مقلب فى هذا الرجل رغم فحـولته ، ومع هذا مـازالت تحب نبيل وتشـتهـيـه .. خـاب ظن رضـوى فى أول ليلة من زواجها .. لم يداعبها ولم يلاعبها ويمزح مـعها ، ولم يكن مهزاراً معها كما جرت العادة بين العرسان فى ليلة زواجهما لكى يهيأها للدخول بها ، ولكن الذى فعله هو أن حملها على ذراعيه وهـى كالريشة ودخل بها الثور الهائج الزريبة المسماه بـغرفة النوم .. وانقض عليها افترسـها واغتصبهـا رغمًا عنها كالحـيوان بعـد أن ضربهـا بقبضـة يده ضربة قـوية على أم رأسهـا أفقـدتها الوعى.. من هذه الليلة كرهتـه وكرهت معاشرته .. وهكذا كـان يعاشرها.. ومع استـمرار المعـاشرات فى شهـر العسل .. اكـتشفت أنه إنـسان أنانى لا يحب إلا نفـسه ومتعته هو فـقط.. حيث إنه ينتـهى من المعاشـرة فى نفس الوقت الذى تكون هى فيه بدأتها ، وفى أمس الحاجة للرجل .. وتضطر هى إلى تكملة باق العـمليـة بإحدى المـارسات الشـاذة .. إلى أن تصل لأعلى قمة نشـوتها ، وتروى عطشها بنفـسها .. ولذلك أحست بخـيبة الأمل التى تركب جمل.. لأنها وجدت الرجل الذى تزوجها لمتعتها.. لا يهتم إلاَّ بمتعته نفسه فقط .. ويضرب بنشوتها ومتعتها عرض الحائط ..

ألم يخلقها الله امرأة بغرائز ومشاعر وأحاسيس ..؟

وظل على هذه الحال ثلاث سنوات هى عمر ابنها مجدى ، وهى تخشى

أن تخنق زوجهـا وتقتله فى إحدى ليالى المعـاشرة عندما ينتهى هو ويتـركها هى تعانى من شدة جوعـها وعطشها .. تحت وطأة الرغبة وشـدتها والشهوة الجامـحة المجـنونة التى تكون فيـها فـاقدة الوعى تمامًـا ، وعاشت كـارهة له ولمعاشرته .

وعاشت معه رضوى الـحرمان وهو بكل ثقله جوارها فى الفراش .. إنه يتسـبب لها بذلك آلام كـثيرة ..هذا بـالإضافة إلى أرقـها وقلقـها .. وهلك أعصابها وثورتها من أتفه الأسباب .

القطة الهادئة الوديعة أصبح لها أظافـر تخربش بهم ابنها الطفل البرىء إذا ضاقت منه ومن شـقاوته .. إنها تنفس عن نفـسها فى ابنه لأنهـا لا تقدر عليه..

فكرت بالخـلاص منه بالطلاق .. ولكنهـا عدلت عن فكرة الطلاق بعـد تفكير عميق.. أين تذهب بابنها.. عند والدها، يكفيه حمله الثقيل الممثل فى كثرة البنات التى تلدهن الأرنبة زوجته.. بعد أن زوجت بناتها الستة.. وبقى معها خمسة بنات من الإحدى عشر بنتًا لم يصلن إلى سن الزواج بعد.

إحدى عشر بنتًا أنجبتـهن وعلى أتم الاستعداد للإنجاب مرات ومرات .. لأنهـا مازالت تلـد وتنجب لأنها صـغـيرة فى الـسن .. لم تتعـد الخـامسـة والثلاثين من عـمرها .. كل هذا الجيش من البنات أنجبتـهن على أمل تنتظر فيه أن يكون المولود ذكراً ، وكل حمل يخيب أملها .. ولا يأتى الذكر ..

***

لقد تعـبت رضوى من كـثرة التفكيـر فى زوجهـا الذى يهملهـا ويهمل متعتها وتشوقها وحـرمانها منه ولذلك عاشت رضوى مع الثور الهائج حياة غير موفقة وغير سعيدة .. ولكنها رضيت بقدرها .. وظلت مستكينة صابرة على بلواها .. أصابتها البلادة .. لا تتـمرد ولا تثور ولا تغضب .. وأصيبت بحالة اللاّ مبالاة .. وأمام هذا كله لا تجـد المعاملة الحسنة .. لا من زوجها ..

ولا من أهل زوجها الذين تقطن معهم فى إحدى شقق بيتهم . ولعدم وجود أنثى فى البيت غيرها ..حيث إن زوجها هو الولد الوحيد الذى تزوج وعاش فى البيت .. ليرعى والده ووالدته المسنان .. ومن أجل ذلك .. فهى عليها كل يوم أن تقوم بتنظيف وترتيب شقة الحماه .. ثم تنزل بعد ذلك لتسوق كل ما تحتاجه الأسرة من خضار وبقول وأشياء أخرى.. وبعد ذلك تدخل المطبخ للطبخ .. كل يوم تتم هذه العملية دون راحة ، وإن بقى وقت فتكون فيه فى خدمة حماها وحماتها .. وتتفانى فى خدمتهم .. وتتحمل من حماتها فوق ما يحتمل كل البشر .. وفوق ما تحمله نبى الله أيوب ..

والمقابل لكل هذا سوء المعاملة .. وعاشت بين شقى الرحى .. مهروسة من سوء معاملة والده ووالدته .. وسوء معاملته ..

وإذا شكت إلى زوجها سوء معاملة أهله لم ينصرها عليهم .. ويثور عليها ويسومها سوء العذاب والضرب .. وحتى لا تعرض نفسها إلى مثل هذا مرة أخرى .. أخذت تكتم شكواها عن زوجها .. بين ضلوعها وتخفيها . وإذا تصادف وسألها عن مدى سوء معاملة أهله لها ..فتبتسم له ابتسامة زائفة .. تدل على أنهما أحسنا معاملتها لتتقى شره ..

إن عادل وهذا هو الاسم الحقيقى للثور الهائج .. لم يكن عادلاً مع زوجته رضوى ليس فى أنانيته فقط بالاستمتاع بها وبجسدها فقط .. بل كان أنانيًا فى كل شىء .. حتى فى طعامه .. يأكل وحده ما لذ وطاب من الأوز والبط والرومى .. دون أن يدعوها لتأكل معه .. وتنتظر كالخادمة حتى ينتهى من طعامه .. وتأكل الفتات المتبقى منه .. ويفعل هذا أيضًا عندما يحضر صوانى الحلوى كالكنافة والبسبوسة والجلاش .. وغيرها من كل جديد من أصناف الحلوى ..

رضوى فقدت الحب والحنان عند كل المحيطين بها .. فوالدها لم يعطها القدر الكافى من الحب والحنان .. من الطاحونة التى يدور فيها .. وكذلك

والدتها لـم تعطها الحب والحنان وأعطت كل مـاعندها من الحب والحنان .. للرجـال الذين يصادقـونها وتصـبح عشـيقـة لهم وتغدق عليـهم من الحب والحنان ما يكفيهم ويفيض ..

لم يكن عندها فائـض منهما لبناتهـا ، وكذلك زوجهـا وأهله .. إنها لم تشعـر معهم بالحب ولا بالحنان كلهم فى شـدة الحاجة إليـها لخدمتـهم فقط بلاحب وبلا حنان .

***

ومرت الأيام والسنين وانقطعت أخـبار رضوى حتى وصلت إلـى عشر سنوات .. تخرج فيهـا نبيل من كلية الشرطة ضابطًا وتم تعـيينه كضابط فى مبـاحث الآداب ، وكون نفـسه وتزوج ، وحـملت زوجتـه فى أول سنة من زواجه بعـد كل ذلك فجـأة تظهر رضوى ، وظلت رضـوى تعيـسة هكذا . وأخـذت تـتسـول الحـب والحنان من الآخــرين إلى أن أتت لهــا إحـدى شقيـقاتها.. بأخبـار نبيل وعندما سمـعت منها كل مادار بين أختـها وبينه .. وقبل بعد رجاء وإلحـاح أختها عليه أن يقابلهـا فى المكان الذى حدده لها .. وهو جزيرة الشـاى فى العاشرة صـباحًا فـطارت رضوى من على الأرض، وكأنها فراشة تحلق فى السماء من شدة فرحتها واغتباطها .. ودبت فيها دماء الشبـاب حارة فى عروقـها بعد أن جـمدها الثور الهـائج الذى يُدعى عادل بمعاشرته الـسيئة لها.. وذهبت إلـى المرآة لترى مدى فرحتـها .. فنظرت إلى خديها فرأتـهما قد تخضبا بالـلون الأحمر .. وأصبحتا مـتوردتان نضرتان.. بعد أن كان قـد أصابهما الذبول .. ونظرت إلى عينيـها فوجدتهمـا يلمعان ببريق الحب القديم قد صحى الحب القديم فجأة دون استئذان أو إنذار ..

إن رضوى عرفت بأن نبيل قد تزوج ولم يـعد خاليًا.. ورغم ذلك قبلت أن تذهب لرؤيته والاستمتاع به لتجدد شبابها.. وفى الموعد كانت فى المكان والزمان.. وأقبلت عليه بكل حسنها وجمالها وقلبها يرقص من شدة فرحتها

وكادت أن تعانقه أمام الناس.. وأمام أختها التى كانت تصاحبها والتى تركتها معه وجلست على منضدة مجاورة لمنضدتها.. وقد تشاكت القلوب.. ولمعت العيون وقالت كلاماً.. أحلى كلام.. كلام يعجز اللسان أن يقوله .

***

غفران هى الأخت التالية حسب ترتيب الميلاد .. وتعتبر بعد رضوى الثانية من الست بنات الكبار اللائى تزوجن .. وغفران وردة نبتت فى مستنقع من الوحل .. تختلف كثيرًا عن شقيقاتها .. كلهن . فهن منحلات خليعات .. فاسدات .. منحرفات .. لتأثرهن بسلوك والدتهن .. الفاسد وانحرافها عن الطريق المستقيم .. تطل من أعينهن الرغبة والشهوة.. أما هى نقيضهن تمامًا ..

تطل من عينيها العفة ، والطهارة ، والرفعة ، والشموخ ، وعزة النفس والقناعة.. وقوة الإرادة .. وقوة الشخصية .. طموحاتها محدودة .. فهى إنسانة بسيطة متواضعة ذكية .. وذكاؤها خارق متدينة إلى أقصى درجة من التدين .. تعرف ربها حق المعرفة .. وتعرف كل أمور دينها ما لها وما عليها.. وتؤدى جميع الفروض فى أوقاتها .. تحب ربها ورسوله الكريم محمد صلوات الله عليه .. وتتقرب إلى الله بصالح الأعمال وتهتدى بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

طبيبة ناجحة فى تخصصها وهو الجهاز الهضمى.. تخرجت من كلية طب عين شمس بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى على دفعتها.. ومن أجل ذلك تهافتت عليها كل المستشفيات الاستثمارية.. وكانت المنافسة عليها شديدة جداً.. وأقيم عليها مزاد علنى دخلته كل المستشفيات الاستثمارية بعروض سخية مغرية وخيالية، عروض لا يمكن لأية بنت عاقلة أن ترفضها.

***

وانتهى المزاد .. ولا أية مستشفى من المستشفيات الاستثمارية التى دخلته فازت بها .. لأنها رفضت كل العروض المقدمة لها .

فضلت غفران أن تعمل فى مستشفى حكومى لخدمة المرضى الفقراء الذين لا يقدرون على مصروفات ونفقات العلاج الباهظ داخل وخارج المستشفيات الاستثمارية ، وكانت رسالتها هى خدمة المرضى الفقراء .. محبوبة من كل الأساتذة والأطباء زملائها وزميلاتها .. الكل يكن لها كل احترام وتقدير ..

لا تتأخر عن أى مريض محتاج لها فهى دائمًا فى خدمة مرضاها .. ابتغاء مرضاة الله ورسوله ..

***

ذاع صيتها وذاعت شهرتها .. فى مدة قصيرة جداً لقبوها الأساتذة بطبيبة الفقراء أم المحسنين .. والفقراء يحجون إليها كل صباح .. وتكسب رضاء الله أولاً .. ثم تكسب رضائهم بعد ذلك ودعواتهم لها .

زوجة لطبيب ناجح كان زميلها فى سنوات الدراسة .. وتخرج معها من نفس كليتها ومن نفس دفعتها . اختارته زوجًا لها وتزوجت منه بعد التخرج مباشرة بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف .. وترتيبه كان الثانى على الدفعة .. وتخصص فى أمراض الباطنة .. وهو الآن فى بعثة مدتها أربعة سنوات قضى منها عشرة شهور وهى وحيدة بلا رجل ..

ورغم انشغالها فى عملها .. وعدم وجود وقت فراغ فى حياتها إلاً أنها كامرأة تعانى من الحرمان لبعد زوجها عنها .. إنها تقاوم جموح الرغبة الملحة التى لا ترحم.. وكثيراً ما ينادى جسدهاالرجل.. وتقاومه.. وتقاومه..

ولكن الشيطان كان يحاول دائمًا أن يفسد عليها مقاومتها .. وتظل تقاومه وتقاومه ، وهو يوسوس لها ويدفعها ليوقع بها فى الخطيئة وتظل تقاوم .. وتقاوم .. وتقاوم إلى أن تهزمه وتنتصر عليه ..

وكلما أتتها الرغبة الجامحة الملحة للرجل.. تتصل بزوجها وتطلب منه العودة فوراً إجازة أسبوعًا أو يومين على الأقل وتقول له أنها فى شوق إليه.. وفى شدة الحاجة إليه .

والرجال يتهافتون عليها ويتمنونها وهى تقاوم .. وتقاوم .. وتقاوم .. بالرغم .. من أنها محصنة بدينها.. فكثيراً ما كانت تصلى وتصوم لتخمد رغبتها الملحة ولتبعد عنها شبح الخيانة والخطيئة .. ولكن نداء الجسد مستمر ولايرحم ..

وكلما اشتدت الرغبة الملحة الجامحة عندها .. واشتدت شهوتها المجنونة للرجل تطلب زوجها وتطلب منه العودة لها لشدة احتياجها إليه .. فيصبرها ويقول لها فى كل مرة تطلب منه العودة أنه لم يتمكن من أخذ إجازة والإجازات لا تمنح إلا بعد مرور عام بالكامل .. ويقول لها باق على تمام العام شهران وقد انتهى الكثير ولم يبق سوى القليل ..

ونداء الجسد والرغبة الملحة مستمران لا يرحمانها وحولها رجال يريدون التهامها .. وكلهم يغرونها بالخطيئة .

***

وكانت غفران كلما اشتد وجدها وزاد اشتياقها لزوجها وألحت عليها الرغبة والشهوة المجنونة تحدث نفسها وتأخذ وتعطى معها وتقول لها النفس:

- إياك أن تضعفى يا غفران .. طول عمرك وأنت طاهرة ونقية نقاء الثوب الأبيض من الدنس .

رغم جو البيت الموبوء الذى كنت تعيشين فيه .. وسقوط والدتك وانحرافها وانحراف شقيقاتك اللاتى حاولن أن يجرونك فى طريق الانحلال والرذيلة وأنت قاومتهن بكل قوتك وإرادتك القوية فكونى على عهدى بك وحسن ظنى بك ..

- أنا أحاول أخمد ثورة جسدى واحتجاجه علىَّ وعلى أننى مصرة على الفـضـيـلة وعلى تركـه بجـوعــه وعطشـه للحب .. هكـذا دون أن يشـبع ويرتوى..

ولا ثانية تمر إلا وينادى علىَّ ويقول أشبعينى وأروينى ..

- لا تعبئى به ولا بندائه عليك .. واتركيه بجوعه وعطشه ..

-إلى متى ..

- إلى أن يأتى زوجك يشبعه ويروى عطشه ..

- وماذا أفعل فى ناره التى تحرقنى .. ورجـال كثيرون من حولى يريدون إطفاء هذه النار ..

- لا تعبئى بهم .. واسـتعيذى بالله من الشيطان الرجيم لقـد هانت كما قال لك زوجك .. مر الكثير ولا يبقى سوى القليل ..

- القليل هذا أصبح فوق احتمالى .. لم أعد أحتمل الانتظار

- اصبرى وتجلدى واحـتفظى بطهارتك ونقائك .. كما احـتفظتى بها.. وأنت فى بيت والدتك المنحلة وشقيقاتك تلك المنحلات .. كل منهن كانت تصادق وتعشق الرجل الذى كانت والدتك تـختاره لكل بنت ..لكى يعبث معها .. وأحيانًا كانت تسـمح لكل بنت من البنات باصطحاب صديقها إلى البيت ليعبث معها تحت سقف بيت الأم ، وأمامها ، وتشجعهن على ذلك ..

- لم يجـرؤ رجل من الرجـال الذين كـانت تصطحـبـهم إلى البـيت أن يعبث معى .. كما كان يعبث أى رجل بأخت من أخواتى البنات ..

- لأنك كنت متـماسكة وعندك إرادة قويـة .. لإصرارك على أن تكونى طاهرة ..حافظى على طهارتك ونقائك إلى أن يأتى صالح زوجك ..

- ومـاذا أفـعل .. إننى فى حـيـرة ومـتوتـرة الأعصـاب وأكـاد أصـاب بالجنون.. وماذا أفعل وقد خلقنى الله امرأة .. بغرائز ومشاعر وأحاسيس ؟

***

استسلمت غفران لقدرها .. ما الذى فى يدها تفعله ، لقد خلقها الله امرأة .. ؟ بغرائز ومشاعر وأحاسيس .. هل ذنبها أن خلقها الله امرأة ؟؟ ماذا تفعل وهى لم تتعد الخامسة والعشرين من عمرها بعدة شهور .. أجمل وأعز وأشهى سنوات الأنوثة عند المرأة .

بدأ كل هذا بهواة أمثال هذه القطة الجميلة للالتفاف حولها . كل منهم يعرف جيداً ما يريده منها ويحاول يخفيه ، وهى تعرف كيف ترد أولئك وهؤلاء الرجال عن مخدعها . الذين يتهاوون تحت قدميها كما تتهاوى أسراب الفراش محترقة من شدة حرارة الضوء الباهى القوى.

***

أصابها الأرق والقلق والملل لعدم استطاعتها النوم.. رغم أن الليل قد تجاوزمنتصفه بساعتين أو ثلاثة .. وهى متوترة الأعصاب لا تهدأ أبداً .. وهى تأخذ الغرفة ذهابًا وإيابًا .. وأخذت تتثاءب وتتمطى عدة مرات .

يرن جرس التليفون ترفع غفران السماعة وتحدث الطرف الآخر :

– ألوه ..

– الدكتورة غفران .. ؟

– نعم .. من معى .. ؟

– أنا أعرف أنك تعانين من الحرمان لغياب زوجك الطويل .. وأنا تحت أمرك ورهن إشارتك من هذه الساعة .. وعلى أتم الاستعداد فى أن أشبعك وأروى عطشك .

– اخرس يا سافل .. يا مجرم .. يا قليل الأدب .

وهى تهم بوضع السماعة على التليفون :

– إياك أن تطلب هنا مرة أخرى يا كلب ..

غفران تضع السماعة على التليفون وهى شاردة الفكر وتسترد لعابها. بينما رن جرس التليفون مرة أخرى ، لم ترد غفران هذه المرة ، وقامت بنزع

فيشة التليفون من البريزة فى عصبية شديدة ، وهى تنفخ فى زهق شديد..

ثم أحست بصدرها النافر يعلو ويهبط فى دغدغة حلوة لذيذة .. إن صدرها رائع حديقة غناء وثمرتاه فى تمام نضجهما وكأن لم يمسهما أحد .. ولم تعبث بهما يد من قبل .. وتزيد من فتحة الروب عند نحرها شيئًا فشيئًا.. ثم تتحسس ثمرتيها النافرتين وهى تحس بخدر لذيذ ، وقد ازدادت حرارة جسدها مما جعلها تخلع روبها وتبقى بالقميص الداخلى القميص الحرير الشفاف .. ووقفت أمام المرآة لترى جسدها من تحت القميص الشفاف فى إعجاب وهى تتحسس كنوزها المطمورة ..وازدادت نشوتها فأخذت الوسادة من مكانها على السرير واحتضنتها وأخذت تضغط بها على ثمرتيها .. وأخذت تضغط وتضغط حتى أحست بخدر حلو لذيذ أصابها برعشة وانتفاضة هائلة .. بعدها ارتاحت وهدأت وراحت فى نوم عميق ..

***

لم يمر أسبوع على اللقاء الذى تم بين نبيل ورضوى بجزيرة الشاى..حتى التقى مرة أخرى فى نفس المكان .

وفى جزيرة الشاى جاءت لرضوى فكرة مجنونة أتى بها شيطانها . هدفها الأول هو عدم البعد عن نبيل والهدف الثانى هو طمعها فى نيله لأنها تشتهيه .

رضوى فى محاولة منها لاسترداد نبيل .. إنها تحاول محاولة مستميتة فى التسلل إلى قلب والدته ووالده بالحب والحنان وزيارتهما فى المناسبات لعلهما يرضيان عنها ويوافقان مع الأيام على زواجها منه ..

بعد أن يحبونها . ويرتاحان إليها .. وهى على أتم الاستعداد أن تتزوجه دون أن يطلق زوجته .. وهى قابلة أن تكون الزوجة الثانية ..

قال لها :

- أوافق على الفكرة ..

ولكنه قال لها :

- والدى ووالدتى سوف يعرفانك .. ولن يوافقا على زواجى منك ..

قالت له :

- من ناحية والدك . لا يعرفنى .. لأننى لم أقابله فى المرتين التى حضرت فيهما إلى بيتكم .

قال لها :

- ووالدتى سوف تعرفك من أول وهلة ..ولن تقبلك كزوجة لى بعد زواجك.. وأصبحت أمًا لولد وحامل فى الثانى .. وأنا أيضًا تزوجت .. وزوجتى حامل فى وليدها الأول .

قالت له :

- لا تشغل بالك بهذه المسألة .. أنا لى عدة طرق أتسلل بها إلى قلب والدتك وقلب والدك .. اجعلهما يحبانى ويرضيان بى ..

- هذه مغامرة يا رضوى .. بالنسبة لوالدتى .. آه لو عرفتك ..

قالت له :

- اطمئن .. لن تعرفنى .. كيف تعرفنى بعد مرور عشر سنوات .. تغير فيها شكلى وجسمى وجميع ملامحى .. وأصبحت إنسانة أخرى كما ترى.. أنت من دقائق قلت لى هذا الكلام والعشر سنوات كافية لمحو صورتى وشكلى وملامحى من ذاكرة والدتك .

- لو حتى فرض أنها لم تعرفك أليس اسمك كفيل أن يذكرها بك ؟

- بسيطة لقد تاهت ولقيناها .. قدمنى لهما باسم مستعار ..

- الكذب يا رضوى ليس له أرجل يسير بها كما يقولون .. سوف ينكشف هذا الكذب فى يوم من الأيام ويومها سوف تكون كارثة كبيرة لى ولك .. ولن يرحمنا والدى ولا والدتى ..

- قبل أن يحدث هذا أكون قد تسللت إلى قلبي والدك ووالدتك ، وسوف أجعلهما يحباني حبًا جمًا يصعب معه الاستغناء عني وعن حبي لهما .. وسأجعلهما يوافقان على زواجي منك بعد طلاقي من الثور زوجي.. صاحب الجثة الضخمة .. وهو هش ..لا يُشبع ولا يغني من جوع.. أنا أخشى دائمًا العواقب .. ولو انكشف أمرك سوف تكون العواقب وخيمة .

- لا تشغل بالك واترك لى هذا الأمر ..

- لو فرض وسلمت بخطتك وخدعتك .. سوف يكون صعب علىَّ أن أشاركك خداعهما .. وبأى صفة أقدمك إليهما ..؟

قدمني على أنني ابنة عم صديق لك .. وقد عرفتنى عن طريقه التقينا فى بيته الذى تتردد أنت عليه .. ومن كثرة ما كلمتنى عن طيبة والدتك ووالدك أبديت أنا رغبتى لك فى أن أتعرف عليهما ..

- ومن أين آتى أنا بهذا الصديق الوهمى الذى يجب أن يأتى معك على الأقل فى أول زيارة لهما

- نعتذر عن عدم حضوره لقيامه فجأة بمأمورية تتبع عمله فى أسوان وفى أرض توشكى الجديدة ..

- معقول .. أما أرى إلى أين سيؤدى بنا كذبك هذا .. وما هى عاقبته.

- خير إن شاء الله .. ومتى تبدأ تنفيذ الخطة ..؟

- اتركينى أسبوعًا على الأقل لكى أمهد لهذا اللقاء المرتقب .

***

عاد صالح زوج غفران من سفره الطويل .. وبمجرد أن دخل الشقة .. جريت عليه وهى بكامل زينتها .. حيث اتصل بها أمس وأخبرها بحضوره.. لكى تطمئن وتستعد للقائه .. وحمدت الله غفران وشكرته على أنه أنقذها بعنايته من السقوط .. وبقوة صبرها الذى أمدها به الله

ولولا طهارتهـا ونقاؤها وصفاؤها .. وتقربهـا إلى الله بصالح الأعـمال .. كانت ضعفت وسقطت .. ولكن الله كان لها خيراً حافظًا ..

وأقبلت عليه بكل حسنها وشبابها وجمالها وإقبالها المثير وكان شوقها زائد له . شوق سنة كاملة ادخرته له لحين عودته ..

وها هو قد عاد بسلامة الله .. وقد قابلته برغبة جامحة محمومة وبشهوة مجنونـة ..لكي تطفئ النار التي أشعلهـا في جسـدها بيعاده عـنها .. نار لا خمـود لها .. وهذا كله جعلهـا ترتمى بين ذراعيه وفى غـير وعى ارتمت فى حضنه وفى حنان بالغ احتضنته بذراعين منهكتين .. أضعـفتهما شدة الرغبة الجامحة .. والشهوة المجنونة .. وشدة احتياجها إليه ..

والتـهمت شفتيـه بشفـتيـها فى ضـعف ولين .. وخـارت قواها تمامًـا وأصبحت كالميتة ضعفًا واسترخاء واستسلامًا ..

حملها صالح بين ذراعيه ودخل بها غرفة نومها ..

***

وبعد ساعة أصبحت مع الأحياء وأخذت تصول وتجول نشوى ، فرحة ، نشطة ، نشطة بنشـاط غيـر عادى .. لقـد انتفـضت دماء الشـباب حـارة فى عروقها .. بعـد أن كان جمدها زوجها بغـيابه عنها عامًا كـاملاً .. وحمدت الله وشكرته على أنـه صبـرها على غـيـاب زوجهـا الذى جـاء فى الوقت المناسب وظلت بطهارتها ونقائها ..

قالت الدكـتورة غفـران لزوجهـا وكأنها كـانت تكمل حديثًـا كان دائراً بينهما :

كان للسيدة حفصة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وابنة أمير المؤمنين عـمر بن الخطاب رضى الله عنه .. رأى فى مـدة غيـاب الزوج عن زوجته .. وذلك بـسبب واقعة حدثت أمـام والدها أمير المؤمنين وهو يتـفقد أحوال رعيته ..

ورد فى الأثر أن أمير المؤمنين عـمر بـن الخطاب .. وهو يتفـقد أحـوال الرعية سمع امرأة تقول وهى فى داخل بيتها :

لقد طال هذا الليل واسود جانبه وأرقنى ألا حـبـيـب أداعـبـه
فوالله لولا اللـه تخشى عواقبه لحـرق من هذا السـرير جـوانبـه

وكانت هذه السـيدة تتألم لبـعد زوجها وغـيابه حيث كـان فى الحرب . فانطلق عـمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى ابنتـه حفصة زوجـة رسول الله صلى الله عليه وسـلم وسألها قائلاً: أخـبرينى يا حفـصة ما هى أقـصى مدة تستطيع المرأة أن تتحمل فيها غياب زوجها عنها .. فقالت حفصة رضى الله عنها . أقـصى مدة هى مـدة العدة التى أمـر الله بها لمن يتـوفى عنها زوجـها وهى أربعـة أشـهر وعـشـرة أيام وأصـدر عمـر بن الخطاب أمـراً إلى قـائد الجيـوش أن يعود إلـى المدينة بجنوده .. وأمر أن لا يتـغيب جـيش المسلمين أكثر من أربعة أشهر وعشرة أيام ..

قالت غفران مستطردة وهى تمزح مع زوجها :

– أسامع ياصالح .. أربعـة أشهر وعشرة أيام بالتمـام فقط .. وليس بعد عام كامل ..

قال صالح لزوجته مطيبًا خاطرها :

– أنا آسف ياحبيـبتى على ما سببته لك من آلام تنوء بحملهـا الجبال ..

وهذه هى الأمانة التى قال عنها الله عز وجل فى كتابه العزيز حيث قال :

بسم الله الرحمن الرحـيم ﴿إنا عرضنا الأمانة على السـموات والأرض والجبـال فأبين أن يحملـنها وأشفـقن منها وحملهـا الإنسان إنه كـان ظلوما جهولا﴾ صدق الله العظيم

قال صالح :

– وما فعلته معى هو جزء من هذه الأمانة والله سوف يجازيك عنه خير

الجزاء إن شاء الله .

قال صالح مستطرداً :

لقد حفظتني فى نفسى ومالى عملاً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة إن نظر إليها سرته .. وإن أمرها أطاعته .. وإن أقسم عليها أبرته .. وإن غاب عنها حفظته فى نفسه وماله .. صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

ورد هذا الحديث فى صحيح البخارى

***

مهد نبيل لدخول رضوى بيت العائلة بحجة أنها تريد التعرف على أهله..

وفى ذات يوم قدمها نبيل لوالده ووالدته باسم مدام مديحة .. ورحبا بها وأكرما ضيافتها .. وارتمت رضوى أو مديحة فى حضن والدته وحضن والده .. وأمطرتهما بكثير من القبل .. وأطالت فى الأحضان وفى القبل لدرجة ملفتة للنظر .. لم تعرفها والدة نبيل .. لأنها تغيرت كثيراً عن أول مرة منذ عشر سنوات .. تغيرت فى الجسم والشكل والملامح .. إنها مدة كبيرة لم تسعفها ذاكرتها للتعرف عليها .

من أول لحظة تسللت إلى قلبيهما.. بحلاوة اللسان .. ومعسول الكلام .. وبالدهاء.. والخبث والكذب والنفاق .. وباللطف .. والظرف.. والكياسة كل هذه أسلحة استخدمتها لكسب رضائهما وتزداد قربًا إليهما.. بالرياء والخداع .. واللين والهدوء المصطنع .

قد مثلت رضوى الدور الذى رسمته وألفته وأخرجته بنفسها دون الاستعانة بمؤلف أو مخرج .. وقد أدته بقوة واقتدار وبالصدق الفنى .. لكى تدخل إلى قلبيهما إنها أبرع من أى ممثلة تحترف مهنة التمثيل.. كما أنها تسللت إلى قلب كامليا زوجة نبيل أيضًا بمعسول الكلام والحب والحنان

الزائفين .. وبالأحضان والقبل .. وبالعاطفة الجياشة .. كل هذا كان زائفًا.. لدرجة أن صدقتها كامليا..التي دعتها إلى زيارتها في بيتها ..

وكان نبيل في أشد العجب والاستغراب من تسللها إلى قلوب الجميع بهذه السرعة الهائلة .. وبهذا التمثيل البارع تألم في نفسه نبيل لأن كل ذلك تم تحت بصره وسمعه .. وهو يعلم حقيقتها وحقيقة خداعها .. وكذبها ونفاقها . ولأنه شارك هذه الشيطانة في خداع وتضليل أهله ..

في ساعات قليلة قد طبقت رضوى الجميع ووضعتهم في جيبها أو في حقيبة يدها .. وأصبحت كواحدة من البيت ..

يجوز والدة نبيل أن تنخدع فيها لأنها مسالمة وعلى نيتها وعلى سجيتها .. لا خبث عندها ولالف ولادوران .. لأنها معدومة الخبرة بالحياة ومايجرى فيها.. أما والده فلا ..من أول نظرة إلى عينيها .. كانت نظرة فاحصة من الرجل ذي الستين ربيعًا .. الرجل المحنك .. الرجل الخبير بالحياة وما يجرى فيها والخبير بكل أمور النساء .. الرجل المجرب الذي قطّع السمكة وذيلها كما يقولون ..

قد بررت رضوى بأجفانها الطويلة وقبلها الكثيرة مع حديثها الطويل لهما بأنها وجدت عندهما الحب والحنان اللذين تفتقدهما عند أهلها .. وأهل زوجها .. وأيضًا عند زوجها ، وتعاطفت معها والدة نبيل وضمتها إلى حضنها .. ضمة أم حنون .. واقتنعت بكل كلمة قيلت لها وتعاطفت معها وأحبتها من أول لحظة وقالت لها في حب بالغ :

حتى الأمس كان لي ولد واحد .. أما اليوم فقد أصبح لي ولد وبنت ..

وأما والد نبيل فلم يقتنع بكل ما يقال ولكنه يتظاهر بالتعاطف معها وبالحب لها .. وهو في شك مريب من أمرها .. كما وأن قلبه يحس أنها تخدعهم .. حاسته السادسة التي يقولون عليها (الفراسة) أحسته بحسها المرهف بأن وراء هذه المرأة سرًا غامضًا كبيرًا .. ولابد أن يصل إليه في يوم

من الأيام بحاسته أو بفراسته .

يجوز أم نبيل تنخدع فيها من كلامها المعسول الملآن بالحب والحنان .. لأنها دقة قديمة وعلى نيتها .. أما هو فلا .. فقد أعطاه الله نعمة خاصة جعلت عنده القدرة إذا نظر إلى عيني أي إنسان أن يصبح هذا الإنسان كتابًا مفتوحًا أمامه .. يقرأ فيه كل ما بداخله ..

***

وأخذت رضوى تتردد عليهما .. وفي كل مناسبة تغمرها بالهدايا .. في عيد الأم وفي أعياد الميلاد - وفي الأفراح والليالي الملاح .. وكانت في كل زيارة تمكث عندهما اليوم بالكامل .. وتخلع فستانها وترتدي جلباب البيت لتأخذ راحتها على الآخر كواحدة من أهل البيت ، كما كانت تزور كامليا زوجة نبيل في بيتها كصديقة .. لم يتسرب الشك إلى قلب كامليا.. ولم تصب بالغيرة على زوجها منها كانت مسالمة إلى أبعد حد بينما رضوى كانت خبيثة وماكرة إلى أبعد حد .. وتمكث عندها اليوم بالكامل أيضًا .. ولا تنصرف إلاَّ بعد الغذاء بساعتين على الأقل لترى نبيل بعد عودته من عمله.. ومن سلامة نية كامليا عند انصرافها تقول لزوجها نبيل :

- انزل معها لكي توصلها . بهذا التصرف كانت كامليا تضع النار بجوار البنزين وتفحت قبرها بيديها .. دون أن تدري ..

***

وتوالت الأيام وفي كل زيارة لهما كانت والدة نبيل تزداد تعلقًا بها .. بينما كان والده الذي وضعها تحت مجهره .. لبحث عن سرها الغامض يكتشف شيئًا من سرها الكبير الغامض ..

***

في أصيل يوم دخلت كامليا على زوجها غرفة المكتب فوجدته منهمكًا في تقرير يكتبه عن آخر قضية آداب شارك فيها، أخبرته أنها ستذهب لقضاء

حاجات وشراء بعض الأشياء من وسط البلد ، ولما رجاها ألاَّ تغيب أجابته:

- بل ستطول غيبتى إذ سيستغرق طوافى بكثير من المتاجر وقتًا طويلاً.. نحن الآن فى الرابعة ، ولن أكون هنا قبل الثامنة، فلا تقلق.. أمامك أربع ساعات ربما أكثر ثم تركت فوق شفتيه قبلة دافئة ضاعفت من شوقه إليها..

ولم تمض نصف ساعة حتى رن جرس الباب فى صالة الشقة ، فنهض متثاقلاً ليرى من الطارق .. فإذا به أمام رضوى .. فقال لها مرحبًا وهو يزدرد لعابه فى صعوبة :

- أهلاً يا رضوى ..

فى سرعة كبيرة وضعت يدها على فمه تغلقه وهى تقول له هامسة :

- أغلق فمك الحيطان لها آذان .. أتريد أن تكشف خطتنا ..

- خطتك أنت وحدك .. وعمومًا اطمئنى.. أنا لوحدى فى البيت ..

- لماذا .. ؟ أين ذهبت كامليا ..؟

- ذهبت لشراء بعض الأشياء من وسط البلد .

- لقد تعبت من صعودى السلم على قدمى ..

- لماذا .. ؟ أين (المصعد ..؟)

- متوقف فى الدور العاشر .. الظاهر أن أحد السكان حجزه وفاتح بابه يقول لها وهو يشير بيده على مقاعد الأنتريه :

- اتفضلى استريحى قليلاً ريثما تهدأين .

قالت له بعد أن جلست على أحد المقاعد بدلال :

- أتغيب طويلاً .. ؟

ارتبك وهو يجيبها :

- والله أخشى أن أقول لك - لا أقل من أربع ساعات - فتذهبين سريعًا.. يمكنك على الأقل أن تستريحى قليلاً من مجهود صعود السلم .

***

كانت كـعهده بهـا .. فاتنة ، شـاهقة ، رشيـقة ، شيـقة حارة .. مـتوردة متحـررة الساقين كعادتها يسـبقها عطرها .. عطرها النفـاذ الذى يقيم الدنيا ويقعدهـا من حولها .. وكان شـعرها الأسود الحرير يرقـد فوق كتفيـها فى دلال ثم تطير خصلة متمردة عنه - غيـر معـصوبة لتـعانق جـبينها الـعاجى الأملس .. وكانت ترتدى فـستانًا أنيقـًا فى لون الفراولة .. وعيناها تلمـعان بنداء محـبب يبرز تقـاطيع قوامـها وانحناءاته .. واسـتدارته وكنوز خـباياه فتشعل ألف حريق اقتحـمت هذه الفتنة المثيرة فؤاده .. ونفذ عطرها الأنثوى إلى قلبـه فأصـابه منه دوار .. ثم تنبـه ونظر لهـا وهى جالسة فـوق المقعـد الجلدى .. وغاصت فيـه إلى أن أصبحت فيه أقرب مـا تكون راقدة ، منها ، جالسـة .. وبرز نهداهـا الشهيـان بلا «سنتيـان» تحت ذلك الثوب الـفرولى المثير، وراحا يختلجان - تفاحتان فى نضرة نهود الأبكار .

ورفـعت ساقًـا فأسندتهـا على الأخرى ، وانحـسر الثـوب إلى ما فـوق ركبتيها فأسفر عن فـخذيها الأملسين الأبيضين اللامعين .. واندفعت الدماء إلى رأسه ثم قالت :

- ماذا تصنع يا نبيل بك .. ؟

أجابها بدون وعى ..

- أعد تقريراً عن آخر قضية آداب اشتركت فيها

- فى هذا الحر .. ؟ الحر شديد جداً كيف تطيقه .. ؟

وانتصبت قائمـة كغزال صغير أو كعود زنـبق نضير وخطت فى جنبات الغرفة وهى تقول:

- هذه أول مرة أدخل غرفة مكتبك ..

حاول أن يجيب بأى شىء .. ولكنها استأنفت قولها :

- أتعرف أنها غرفة أنيقة .. كل ما بها ينم عن ذوق سليم .. ذوق فنان..

ونهض نبيل عن مـقعده .. وراح يتـبعهـا وهى تتنقل بين أرجاء الغـرفة

الرحبة وهى تلقى نظرة على كل محتوياتها إلى أن قالت :

- دعنى أرى ما كنت تكتب ..

وسبقتـه إلى مكتبه .. جلست إلى المقعد الدوار فى دلال تلميـذة صغيرة ماكرة ..

وراحت تنتقل بنظراتها الباسمـة بين السطور .. وانحنى نبيل إلى جانبها وقد أراح كفه على كتفها العارية .. واقترب من وجهها بوجهه . نفذ عطرها إلى قلبه .. إلى كل خلايا جـسمه .. إلى كل مسام جلده .. نفاذاً قـويًا عاتيًا أفقده رشـاده أو كاد .. لم يفصل بين خديهـما أكثر من شـعرة .. وارتفعت كفـه عن كتـفهـا برغم إرادته لتستـقر فوق خـصلاتهـا الغزيـرة الفاحـمة، فاستدارت بوجهها إليه .. فمست وجنتها الملساء المعطرة وجهه الذى يلتهب ناراً .. وتألق فى عينيها بريق خاطف كأنها تقـاوم لوعة رغبة عاتية تجتاح كل مسام جلدها .. كانت كمن تقول له :

- أريدك ولكنى خائفة .. ثم ومضت من أساريرها ابتـسامة لم تستغرق خفقة قلب من الـزمان .. هذه البسمة كانت بمثابة الـتوقيع بالأحرف الأولى على اتفاق أو معاهدة بين طرفين لا ينقصهما إلاَّ التوقيع النهائى الكامل ..

وقفزت سريعة رشـيقة كلولب قوى ، وقد عادت الابتسـامة إلى وجهها واضحة جريئة ساخرة .. فيها نداء وفيها دعوة إلى التوقيع النهائى .

***

كانت تلعب دورها بذكاء امـرأة ودهاء امرأة وسحر امرأة جـمعت ذكاء ودهاء وسحـر نساء الدنيـا بأسرها .. إنهـا تريد أن تفقده رشـاده لكى يركع أمام قدميها وهى قد تأكدت أنها وصلت به إلى نهاية غايتها .

اتجهت فوقـفت أمام إحدى الصور المعلقة بالجدار خلف مكـتبه .. وكان نبيل يقف وراءها لا يبعـد عنها بأكثر من شبر .. يرمق التـصاق ثوبها الحرير بخصرها ومـا فوق خصرها ومـا تحته وقد قـالت وكأنها تحدث نفـسها هذه

صورة جميلة ..

وارتدت خطوة إلى الوراء عمداً - لترى الصورة عن بعد لتتبين محاسنها أكثر ، فاصطدمت به «الحقيقة الملتهبة الثائرة.. كانت تعرف أنه خلفها بمقدار هذه الخطوة لا أكثر .. وأنها لو تراجعت ستصطدم به حتمًا.. وأنه سيركع فوراً .. وهذا ما كانت تسعى إليه بعد أن أشعلتها فى جسده حريقًا.. وكان هذا أكثر من أن يتحمله نبيل ، فإذا به ينسى كل شىء .. وإذا به يحتويها بين ذراعيه فى هوس الرغبة وجعلته يحس أنها تدفعه بعيداً عنها ولكن بذراعين منهكين أضعفتهما شدة الرغبة إليه .. فتهدل شعرها فوق كتفيها وبدت أكثر فتنة وأشد إغراء وسحراً والتهم شفتيها بشفتيه فلم يعد هناك ما يدل على أنها من الأحياء إلاّ أنفاسها التى كانت تتهدج فى ضعف ولين كانت ضعفًا واسترخاء واستسلامًا وطواعية.. فحملها بين ذراعيه إلى غرفة أخرى وهى تقول - وهى فوق ذراعيه :

- هذه اللحظة انتظرتها طويلاً فإننى أريدك منذ اثنتى عشرة سنة وآن الأوان وتحققت أمنيتى .

***

وكانت وجنات الأخت الثالثة لرضوى حسب ترتيب الميلاد .. قد تزوجت زواجًا عرفيًا من زميل لها فى الجامعة أثناء الدراسة وبعد أن انتهى من دراسته تخلص منها بعد أن طلقها ، وزوجها من ثرى أجنبى بعد أن استلم منه مبلغًا كبيراً نظير تنازله عنها له وانقطعت صلة زوجها بها .. وأصبحت زوجة لهذا الرجل بموجب ورقة عرفية من صورتين . أعطاها صورة واحتفظ لنفسه بصورة .. لم توثق صورة هذا الزواج الخاصة بها فى سفارته.. وكلما طالبته بتوثيق هذه الورقة .. فيصبرها ويقول لها هذه الورقة بزواج مؤقت .. لن يمر عام ونكون قد تزوجنا زواجًا رسميًا بوثيقة زواج رسمية .. وحملت منه بعد شهرين من الزواج .. وتركها قبل أن تتم شهرها

التاسع بأسبوعين بعد أن سرق منها ورقة الزواج الخاصة بـها .. وسافر بلده دون أن تعلم شيئًا عنه لا عنوانًا ولا جهـة .. ولا بلداً ولا اسمًا .. لأن اسمه الذى تزوجهـا به كان اسـمًا مزوراً علمت بذلك من سـفارته .. ولـم يشـعر والدها ولا والدتها بالمصيبـة إلاً وهى راجعة إلى بيت والدها وهى فى نهاية شهـرها التاسع من الحمل .. وبعـد يومين ولدت طفلاً بلا أب .. لقد نسـبه والدها إلى نفسه ، كـما نسبتـه والدتها إلى نفسها .. كم تمـنت الأم أن يأتيها ذكر فوق جيش الإناث الذى أنجبته ، وأسمياه ياسراً ، ولم يمر سوى شهرين وقد سقطت ، جرفها التيار الذى لا يرحم ، وأصبحت داعرة وعاهرة .

***

الشباب يهرب من الزواج الرسـمى الموثق ويلجأ إلى الزواج العرفى لأنه ليس مكلفًـا كالـزواج الرسمى الموثق عند المـأذون .. خصـوصًا وأن المهـور ارتفعت جداً أو أصـبح مغاليًا فـيها كما أن تكاليف الزواج أصـبحت باهظة ليـست فى مـتناول الشـبـاب الآن لانتـشـار البطالة والارتفـاع الشـديد فى الأسعار .

«والزواج العرفى» انتشر وأصبح ظاهرة بين شباب الجامعات .. لأنه غير مكلف.. الشابـة تأكل وتلبس وتأخذ مصـروفها من بـيت والدها.. وكذلك الزوج الشاب .. والمعاشرة تتم بينهما خارج بيتهما .. ولا علم لأهلهما بهذا الزواج .. وخوفًا من أن يحدث حمل وينكشف أمـرها .. الفتاة تستعمل أى وسيلة من وسائل منع الحمل .

ونسـبة الزواج العـرفى بين الشبـاب فى الجامـعات كـادت أن تصل إلى ٢٠٪ وهذه نسبـة عالية جداً .. و٩٠٪ منهم بـل أكثر من ذلك بكثيـر فشلوا فى زواجـهم ووصلهم هذا الزواج إلى الانحـراف والرذيلة لـكى يعيـشـون ويقـتاتـون القوت الضـرورى بعـد أن طردتهم أهاليـهم لزواجـهم من وراء ظهـورهم هذه الزيجـات المشكوك فى أمـرها .. وازدادت أعداد العـاهرات

والداعرات بآلاف مؤلفة ..

وكـان مـصيـرهن هو مـصيـر وجنات أخت رضـوى .. لم ندخل إلى ضمائر الشـهود لكى نعلم إذا كانت شهـادتهم صحيحة أو فـاسدة فى حالة فسـادها يصبح الزواج باطلاً وفـاسداً ولا يسمى زواجًـا .. بل نسميـه دعوة إلى زنا مقنع باسم الزواج .. خصوصًا وأن معظم الشهود أصدقاء للعريس والعروسة ويجاملونهم بشهادتهم .. والشـهادة الصحيحة لا يجوز أن تكون بالمجـاملة.. ولابد أن يكون الشـاهد مقـتنعًـا تمامًا بهـذا الزواج وإلاّ تعـتبـر شهادته باطلة وبالتالى الزواج يكون باطلاً وفاسداً .

***

ويمكن للشاب المتزوج عرفـيًا هو نفسـه لا يبقى عليـها .. يمكن له تحت ظروف ماليـة صعبـة يوصلها إلى بيع جـسدها لغيـره ويعمل هو قـواداً لها ليكسب من ورائها أمـوالاً لا تحصى ولا تعد .. وغـيره يمكن له أن يوقع فى شبكته صيداً جديداً ثمينا .. فيتنازل عنهـا لغيره لأنه ملها .. نظير مبلغ كبير يصلح به أحواله الماليـة نظير تنازله عنها .. مثل مـا فعل الشاب الذى تزوج وجنات أخت رضوى .. الخسيس الذى باعهـا .. للثرى الأجنبى الكبير بعد أن عاشـرها فى السنة الأخيرة من دراسـتـه الجامعيـة .. وبعد نجاحه وانتـهاء دراسته الجامعية .. عرضها للبيع كـأنها كانت مرتبطة بحياته الجامعية فقط.. وكأنهـا كانت رهنًا لنهـاية السنة الدراسية .. وتقـدم الثرى الأجنبى الكبـير للمزاد وقد رسى عليه المزاد لسخاء يده والمال الوفير الذى يملكه .

***

كات صـفقـة رابحة لهذا الـشاب الذى تزوجهـا من قبل واسـتمـتع بها واستـمتعت به .. وذاق عـسيلتهـا وذاقت عسيلتـه .. فى زواج مشكوك فى صحته بدليل أنها هانت عليه وأنه كان سهـلاً عليه أن يبيعها ويتخلص منها للثرى الأجنبى.. الذى تزوجها بلا إشهار ولا شهود على العقد .. والشهادة

على الزواج العرفى هى الفيصل بين صحة هذا الزواج أو بطلانه ، وبالتالى فإن العقد إذا خلا من الشهود والإشهار يكون باطلاً ويكون الزواج العرفى فى هذا الحالة ليس زواجًا على الإطلاق بل إنه ينحدر ويصبح زنا فعلاً ومن ثم اشترط القانون أن يكون لعقد الزواج الشهود الذين يعلمون به وترغيبًا فى الإعلان على الزواج والإعلان به للكافة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعلنوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدف».

إن الزواج يكون صحيحًا طالما استوفى أركانه العامة الأساسية وطالما كان الشهود قد حضروا العقد وكان الزواج يقصد الاستقرار ومنه الاستقرار والمعيشة ، فإن لم يتوافر هذا القصد لم يكن زواجًا بل سفاحًا أما إذا توافر هذا القصد فالزواج يكون صحيحًا .. وفى أغلب الأحيان لا يكون هذا القصد متوفراً .. وهذا ما حدث مع وجنات أخت رضوى.

***

قبل تفشى ظاهرة الزواج العرفى بين شباب الجامعات كان موجود من قديم الزمن من قبل ولكنه كان محدوداً .. وهو شرعى وحلال لأنه ليس مشكوك فيه فهو مكتمل الشروط والأركان مثله مثل الزواج الرسمى الموثق عند المأذون .. وكان يتم على السواء للرجل أو المرأة وهم فى منتصف أعمارهم .. فى سن النضوج والتعقل .. بعد أن يذهب عنهم طيش الشباب ونزوات المراهقة ..

وكانت معظم زيجاته ناجحة ومستمرة حتى الآن .. وكان يتم لأسباب عديدة .. ولظروف خاصة جداً .. مثل مرض الزوجة الأولى.. أو لعدم إنجابها .. أو لسوء عشرتها .. وللحفاظ على الأسرة وعدم تفككها وتشتيت الأولاد وضياعهم .. لجأ معظمهم إلى هذا الزواج العرفى .. وحتى لا يهدم البيت القديم على رأس الزوجة الأولى ..

***

ومن أسباب ظاهرة الزواج العرفى بين الشباب فى الجامعات الفسوق والانحلال الذى يأتى من بعض زيجاته لسوء التربية وضعف الوازع الدينى عند الأهل وأبنائهم من الشباب وانعدام الأخلاق .. وتهاون الأسرة مع أولادهم .. الذين يسمحون لهم بكل تقليعة أو موضة جديدة .. آتية من الدول الأوربية الذين يريدون هدم الدين الإسلامى .. والقضاء على دولة الإسلام التى يخافونها ويخافون قيامها وعلى رأسهم أمريكا وذيلها إسرائيل التى تتربص بنا وبأبنائنا المستهدفين .. كما أن الأسرة أيضًا مسئولة عن ضياع بعض الشباب بسوء تربيتهم لهم وتساهم مساهمة غير مباشرة فى النكبة الكبرى التى تسمى بالزواج العرفى وأنا أسميه زواج مراهقة تتحكم فيه الغريزة إلى حد كبير .. والأسرة مسئولة عن ذلك .. بتهاونهم مع بناتهم والسماح لهن بارتداء ملابسهن التى لا تتفق مع ديننا الحنيف.. حيث إنها فى بعض الأحيان تكون خارجة عن حدود اللياقة والأدب .. حيث نراها محزقة ولاصقة على أجسادهن .. وعلى وجه الخصوص البنطلون الذى يسمى (بالاسترتش) الذى يثير غرائز الشباب وكثيراً ما يكون سببًا لاغتصاب الفتيات .

وأكيد أن أمريكا وذيلها إسرائيل والدول الأوربية .. أعداء الإسلام هم وراء فكرة الزواج العرفى لإفساد كل الفتيات وكل الشباب ..

هل نحن وصلنا إلى علامات قيام الساعة الأولى التى قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ..حيث قال (سيأتى على أمتى زمن ترى فيه الرجال النساء كاسيات عاريات) وقال أيضًا صلى الله عليه وسلم من ضمن علامات قيام الساعة الأولى (ضياع الحياء من وجه المرأة) وأعتقد أننا قد وصلنا إلى هذا الزمن الآن .. فى الزمن القديم كان الشاب هو الذى يعاكس الفتيات ويتحرش بهن جنسيًا.. أما الآن فقد انقلبت الأمور وأصبح يحدث العكس .. الفتاة هى التى تعاكس الشاب وتتحرش به جنسيًا .. تماماً

كمـا فعلت رضـوى مع الشاب رضـا الذى قابلـته فى إحدى دور الـعرض السـينمائى وحـدثته وهو لا يعـرفهـا .. ومع ذلك أكدت له أنهـما سـبق أن تقابلا فى مـصعد العـمارة الذى يقطن فـيها .. وقـضيا وقـتًا سعـيداً .. ولم تخرج من السينما إلاّ وهى متأبـطة لذراعه .. وذهبا بعد ذلك لأحد الأماكن الهادئة ليستمتعا بوقت سعيد آخر .

***

الفتيات اليوم وصلن إلى حالة انعـدام وزن .. كما أصيبت الأهل بحالة انعدام الرقـابة عليهن وعلى أجـسادهن الفـائرة بدم الشبـاب الحار مما يدفع زملاءهم من الشبان للطمع فيهن واسـتحلالهن لأنفسهم بالزواج العرفى .. كـما حـدث تمامًا مع وجنات أخت رضـوى .. حيث انحـرفت وأصبـحت داعرة وعاهرة .

إهمال الأهل لها هو الذى وصلها إلى ما هى فيه الآن .

ومن الأسباب أيضًا تأخير وصول أولاد الحلال لخطبتهن والزواج بهن.. ليمارسن غرائزهن ومشاعرهن وأحاسيسهن التى خلقها الله معهن .

كـما أنه يوجـد بعض الأهل تسـمح بالصـداقة بـين الشابة والشـاب .. كأسرة رضوى التى انحلت وانحرفت كل بناتها .. علمًا بأن رسول الله نهى عن هذه الصداقة بحديثه الشريف (ما اجتمع رجل وامرأة إلاّ وكان الشيطان ثالثهما) .. صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

***

وكـانت الأخت الرابعـة لرضـوى وتدعـى إلهـام قـد تزوجت من رجل سريع الغضب .. كلمـا تشاجر معها يحلـف عليها بالطلاق .. وظل يحلف إلى أن وصل إلى اليمين الثـالث وأصبحت لا تحل له إلا بعـد أن تتزوج من رجل غيره .. وإذا طلقـها هذا الرجل الشرع يعيـدها إليه .. بشرط أن يدخل بها قبل طلاقها ويدون اتفاق مسبق على الطلاق .

أما المحلل الذى يجرى الآن والمتعارف عليه بين الناس مخالف لشرع الله تمامًا لأنه فاسد وباطل وعودتها لزوجها فى هذه الحالة تعتبر عودة لزنا.. لأن الله أمر بزواجها من رجل آخر بشرط أن يدخل بها ويعاشرها معاشرة الأزواج .. على أن يطلقها بظروفها وليس باتفاق كمايجرى الآن يعقد عليها فى المساء ويصبح يطلقها دون أن يمسها ويعاشرها وهذا باطل وفاسد حيث يقول الله عز وجل فى كتابه العزيز ..

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره ..﴾ صدق الله العظيم .

كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سأله رجل عن طلاقه لامرأة كان هو محللاً لها .. قال له صلى الله عليه وسلم : "ليس قبل أن تدخل بها وتذوق عسيلتها وتذوق عسيلتك" وهنا يؤكد الرسول الكريم أنه لابد من الدخول والمعاشرة .. وتطلق فيما بعد بظروفها .. دون اتفاق مسبق على الطلاق عموماً .

المحلل محرم لقوله صلى الله عليه وسلم «لعن الله المحلل والمحلل له» هذا والله أعلم لأننى كما يقول الله فى كتابه العزيز : ﴿وما أوتيتم من العلم إلاَّ قليلا﴾ صدق الله العظيم

***

وكانت الأخت الخامسة لرضوى وتدعى ميرفت قد تزوجت من رجل يعمل تومرجيا .. ولكنه مصاب بشذوذ جنسى .. من نوع غريب لم نسمع عنه من قبل ، وحياء منى لن أقول ما هو هذا النوع .

وكانت ريما الأخت السادسة لها قد تزوجت من قواد .. دفعها للعمل كمومس فى أحد بيوت الدعارة .. وتخصصت فى ركوب السيارات مع الشباب العطاشى للحب المحرم ..

***

وتوطدت العلاقة بين رضوى وبين والد نبـيل .. وأيضًا مع نبيل وزوجته كامليـا وبدأت تخطط لزواجها من نبـيل حيث حدثت والدة نبـيل عن سوء معاملة زوجها لها وسوء معاملة أهله لها .. وكانت والدة نبيل تصبرها دائمًا وتناشدها الاحتمال ..

ومرت أيام وشهـور حملت كامليـا زوجة نبيل .. وفى الأسبـوع الأخير من الحمل .. قـام والد نبيل بشراء مـلابس وعدة أطقم للخـروج للمولود ، وكل ما يحـتاجه المولود .. ومثل مـا اشترى لحـفيده اشتـرى لمولود رضوى الثانى الذى سيأتى بعد مـيلاد ابن نبيل بشـهرين .. وقدم والد نبـيل كل ما اشتراه لمولود رضوى لها كهدية منه للمولود ، ورضوى مستمرة فى مخطط زواجهـا من نبيل.. حـتى بعد أن وضـعت مولودهـا الثانى .. حـيث عادت تشكو لوالدة نبيل معـاناتها من زوجها وأهله .. وهى تجس نبضـها بالتلميح تارة وبالتصـريح تارة أخرى وخاصة كلمـا وجدت كامليا زوجـة ابنها على خلاف معـها.. تتقرب إليها وهى تقـول أنا ليس لى فى الطيب نصيب .. أنا دائمًا أقـوم بعمل مقـارنة بين معـاملتكم لكامليا ، وبين مـعاملة أهل زوجى وزوجى لى .. أجدها هى أحـسن منى مليون مرة .. وأحسدها عـلى النعمة التى هى فيها..

قالت والدة نبيل :

- لايحس بالنعمة يا ابنتى الحبيبة إلاَّ المحروم منها .

قالت رضوى :

- أنا ياما أريد أن أطلب الطلاق من زوجى .

- لماذا يا ابنتى ..؟

- ما أنا سبق أن قلت لحضرتك عن سوء معاملته ومعاملة أهله لى .. لم أعد أتحملهم ..

- وماذا تفعلين بعد طلاقك .. ؟

- أتزوج من غيره يحسن معاشرتى ومعاملتى ..
- وأين ستجدين الرجل الذى يقبلك بولديك ؟
هنا صدمت رضوى .. وتأكدت من كلامها هذا أنها لن تقبلها زوجة لابنها .

فى محاولة للصيد فى الماء العكر .. كانت تنتهز فرصة أى خلاف بين نبيل وزوجته أو بين زوجته ووالده ووالدته وتسكب عليه البنزين لكى تزيد اشتعاله .. وكلما هدأت النار زادتها بنزينًا لتظل مشتعلة ، وذلك بطريق غير مباشر ؛ بتملقها والدة نبيل التى تقول لها :

- كل بيت فيه مشاكل .. لا يخلو بيت من المشاكل والأمر لا يسلم من الخلافات .

تقول لوالدة نبيل :

- أنتم تعاملونها أحسن معاملة .. يا ليت حماتى وحمايا وزوجى يعاملوننى مثل ربع هذه المعاملة .. كنت وضعت أحذيتهم فوق رأسى ..

قالت والدة نبيل لرضوى وهى مهمومة :

- أنت ابنة حلال وطيبة يامديحة .. ياليتنا كنا عرفناك قبل أن نزوجه..

قالت لها رضوى فى تملق وتقرب إليها :

- ياليتنى كنت مكان كامليا .. كنت أظل خادمة لكم طول عمرى..

وندبت حظها بعد أن فشلت كل محاولاتها وتخطيطها للزواج منه .. وقد راجعت نفسها . بعدها وجدت أنه لا أمل فى زواجها من نبيل لذلك عدلت عن فكرة الزواج من نبيل طالما أنه يعاشرها ويمتعها دون زواج .. ورضيت به كعشيق .. إنها تأخذ منه كل مايعطيه لزوجته من متعة .. بل إنه يمتعها هى أكثر مما يمتع زوجته ..ماذا تريد بعد ذلك إنها لا تريد غير المتعة .. لتعوض الحرمان من متعتها مع زوجها الأنانى الذى لا يهتم بمتعتها.. ويمتع نفسه فقط ويتركها قبل أن تنتشى وتستمتع به .. لم يقصر نبيل فى متعتها ..

لقد أخذته من زوجته وكانت تلتقى معه فى لقاءاتها المحرمة فى بيت والده إذا كان والده ووالدته فى بيته هو .. وفى بيته إذا كانت زوجته فى بيت والده.. وهكذا بين البيتين بالتبادل .

***

ومازال والد نبيل يضع رضوى تحت مجهره لمعرفة سرها الكبير الغامض فى حياتها .. وفى كل زيارة كان يكتشف منه شيئًا .. اعترفت له فى هذه الزيارة .. بعد أن تسلل إليها بحسن الكلام ليستدرجها .. حيث قالت له :

- أنا فعلاً فى حياتى سر كبير غامض .. ولكنى أحتفظ به الآن لنفسى..

لم يُلح عليها والد نبيل لمعرفته ..حتى لا تخف منه .. وتخفيه عليه فى المرات القادمة .. وحتى يصل إلى مكنونها أخذ يعاملها باللين والهوادة.. وعقد معها صداقة لكى تأمن له وتنضح بكل ما بداخلها له.. وتسلل إليها بالكياسة واللطف والظرف بخبرة الرجل المحنك المجرب الخبير بكل أمور النساء .. ونتج عن ذلك ارتياحها له ، وأخذت تحكى له أدق تفاصيل حياتها مع زوجها .. وفى بيتها بناء على أسئلته التى يوجهها إليها .

وكانت فى كل مرة عندما تأتى لزيارة والد نبيل ووالدته تمطرها بالقبل والأحضان ولكن قبلها لوالدة نبيل غير قبلها لوالده .. وكذلك حضنها لوالدة نبيل غير حضنها له .. كان له طعم آخر .. فكانت فى حضنها لوالده تمكث مدة أطول إلى حد أنها جعلته يغير نظرته لها من نظرة الأب إلى ابنته.. إلى نظرة العاشق المحب ..

كانت تثير غرائزه بإبقائها فى حضنه . وهذا كان يجعله يشتهيها فى بعض الأحيان خصوصًا وأنه ليس بالذراعيّن فقط .. ولكنه كان حضنًا بالذراعين والصدر ..وكان يخجل منها وهى بين أحضانه .. وبهذا التصرف المخجل سقطت من نظره وسقط معه كل تقديره واحترامه لها وجعله يحس ويشعر أنها سهلة المنال ..

وهذا كان يتعب أعصابه ويوترها .. وخشى فى مرة وهى بين أحضانه أن يخرج عن طوره ، ويعمل عملاً فيه حماقة أمام زوجته يضيع هيبته واحترامه ممن حوله ..

كما أن الوازع الدينى اشتد عنده ولخوفه من الله .. أخذ يتحاشاها ويتحاشى قبلها وحضنها .

وفى إحدى الزيارات كانت معها والدتها .. وقد دعتهما والدتها لزيارتهم .. وبعد إلحاح منهن هى ووالدتها قد وافق والد نبيل ووالدته على قبول الدعوة .. وقد حددا موعد الزيارة .. وذهبا وحدهما دون نبيل وزوجته كامليا ..

وعندما وصلا وجدا الجميع فى انتظارهما .. رضوى وجميع شقيقاتها ماعدا غفران الطبيبة الإنسانة ، وعلما من والدتها أنها لم تدخل هذا البيت من يوم أن تزوجت زميلها الطبيب صالح . وعلق والد نبيل فى نفسه قائلاً ولماذا تدخل هذا البيت الفاسد .. هى ماصدقت أن تخرج منه ..

ووجد والد نبيل ووالدته أن الشقة مكتظة بالناس من رجال ونساء .. فيهم الأهل وفيهم الأغراب .. وكانت أول القصيدة كفر كما يقولون .. فقد قدمتهما للأغراب على أنهما من العائلة وأنهما أقرباء من بعيد .. قال والد نبيل لنفسه لِمَ الكذب..؟ لِمَ لَمْ تقدمنا كمعارف .. وأخذ والد نبيل ينظر للجميع بنظرات فاحصة وإلى أعينهم فرداً فرداً بنظراته الثاقبة ، وبحاسته السادسة وفراسته أخذ يحلل كل فرد منهم .. وفى النهاية وصل إلى هذه النتيجة .. إن هذا البيت ماهو إلاَّ وكر من أوكار الدعارة .. كما أنه سأل رضوى .. هل والدك يعلم بزيارتنا هذه .. فأجابت لا .. فقال بينه وبين نفسه يا نهار أسود .. ندخل البيت دون علم صاحبه .. الانحلال واضح فى البيت .. ورضوى وكل شقيقاتها حتى والدتهن سهل منالهن ..

وأسرع والد نبيل بإنهاء هذه الزيارة .. خوفًا من حضور صاحب البيت

فجأة يجدهما فى البيت دون سابق معرفة .. وخوفًا مما لا يحمد عقباه .. كهجوم خاطف لشرطة الآداب وأخذ الجميع وحجزهم فى القسم لحين الانتهاءمن التحقيق ويتلوثان هو وزوجته مع الجميع ويسبب هذا إحراجًا لابنهما نبيل .

ولم يمر على هذه الزيارة إلا أسبوع واحد .. وحضرت رضوى لزيارة والد نبيل ووالدته ..

وبعد السلامات والتحيات والأحضان والقبل الكثيرة جداً بعد ذلك انتحى بها والد نبيل جانبًا وأخذ يحدثها ويأخذ ويعطى معها كصديقين .. واستدرجها فى الكلام لمعرفة سرها الكبير الدفين .. وبدأت تحدثه عن سرها الغامض فى شىء من التردد والخوف قائلة :

– أخشى أننى لو بحت بهذا السر أن أخسر أحبائى الذين أحببتهم حبًا لا يعادله حب فى هذه الدنيا

– من هم أحباؤك الذين تخشونهم وتخشون أن تخسريهم ..

قالت بعد أن جمعت شجاعتها :

– أنتم .. أنتم أحبائى الذين عوضتمونى عن الحب والحنان اللذين افتقدتهما عند أهلى وعند زوجى وأهله .

– ومالنا ومال سرك الكبير الغامض والدفين .. هل نحن طرف فى سرك هذا ؟

– نعم .

– كيف أخبرينى بربك ..؟

قالت فى تردد كبير :

– بصراحة أنا .. أنا .. أنا

قال فى لهفة ولهوجة ليحثها على الكلام :

– أنت ماذا ..؟ أكملى يا ابنتى الطيبة .. أكملى ؟

قالت فى توجس وخيفة :

- الحقيقة أنى خائفة من غضبكم منى .. وأخشى أن أفقدكم ..

- لا .. اطمئنى .. لن نغضب منك .. ولن نفقدك .. ولن تفقدينا .. الصراحة يا ابنتى الحبيبة دائمًا ماتريح النفس .. والحقيقة مهما كانت مرة ومؤلمة .. أفضل ألف مرة من إخفائها .. ويجب أن نعرفها حتى نحيا معًا حياة خالصة لله بلا رياء.. ولا نفاق .. ولا كذب .. ولا خداع .. قولى يا ابنتى ما هى الحقيقة..؟

- عدنى أنك لن تغضب منى أنت وأمى الحبيبة أصيلة ..

- أعدك ..

- الحقيقة أنا ليس اسمى مديحة كما قلت لكم .. وهنا تدخل أم نبيل فى الحديث حيث تقول لها فى دهشة واستغراب :

- وماذا اسمك إذن ..؟

- أنا رضوى يا ماما أصيلة .. رضوى حبيبة نبيل التى أتت مع أمها لكم منذ اثنى عشر عامًا لكى ترجوك أن توافقى على زواجها من ابنك نبيل.

ورضوى بإزاحة الستار عن سرها الكبير الغامض الدفين هذا .. كأنها فجرت قنبلة موقوتة أطاحت بكل شىء أمامها .. ونزلت على والد نبيل ووالدته كالصاعقة .. وانقلب عليها والد نبيل حيث قال لها فى غضب وانفعال شديدين :

- كأنك طوال العامين الماضيين كنت تخدعيننا .. لماذا عدت لنا يا غشاشة يا مخادعة ..

- عدت لأكون بجوار حبيبى الذى حرمتمانى منه .

قالت والدة نبيل فى انفعال شديد :

- بأية صفة تكونين إلى جواره .. ؟

- قالت :

- صديقة .

قال والد نبيل فى غضب شديد :

- صديقة أم عشيقة .. الشرع لا يبيح مثل هذه الصداقة بين رجل وامرأة.. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف (ما اجتمع رجل وامرأة إلاً وكان الشيطان ثالثهما) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالت والدة نبيل فى غضب شديد :

- جئت يا خاطئة لكى تفسدى على ابنى حياته وتخربين بيته وتأخذينه من زوجته وأولاده وتجرينه معك إلى طريق الحرام .. الحرام الذى تتمرغين فيه أنت وأهلك ..

قال والد نبيل فى غضب شديد :

- من الآن لا أريد أن أرى وجهك يا فاجرة .. يا عاهرة يا داعرة .. فى بيتى ولا فى بيت ابنى .

- والآن امشى .. امشى من هنا واخرجى من بيتى ولا تقتربى منه .. ولا تدخليه مرة أخرى وأنا سوف أحاسب ابنى على مشاركتك فى خداعنا .. وفى انزلاقه معك إلى الوحل الذى تتمرغين فيه يا عاهرة يا داعرة ..

***

وأخذ والده يعنفه ويوبخه ويأنبه كل ذلك كان لنبيل بعيداً عن زوجته حتى لا تشعر بحجم هذه المصيبة .. حفاظًا على بيته وعلاقته الحميمة مع زوجته .. وأخذ يحلل له ما حدث وهو صامت قائلاً :

- هذه المرأة اللعوب لعبت بك .. وأصبحت تعيش وفق مزاجها ، والفوضى تضرب أطنابها فى حياتك دون أن تشعر ، وأنك تتقبل هذه الفوضى بمنتهى الرضا .. ولم تقاوم لأنك تعرف قدرتها جيداً على امتلاك ما تريد ومن تريد .. اللطف والظرف .. واللين .. والهدوء .. الكياسة فى

التسلل إلى القلوب بذات المهارة التى تتسلل بهـا إلى ممتلكات غيرها . إنها تعلم تمام العلم أنك زوج وأن لك أسرة وأولاداً .. وبالرغم من ذلك دخلت حيـاتك هذه الحية الرقطاء .. وتسللت إلى بيتك لـتهدم عـشك وتستـحوذ عليك لنفسها وتخطفك من زوجتك ..

إنهـا كان لهـا تأثيـر كبـير عليك .. لقـد نجـحت فى اختـراق نطاقك .. واستـولت على مشـاعرك الصادقـة التى لم تكن فى يوم ما .. ولمـا اطمأنت لحبك تجددت فى أساليبها وباتت تحرص على ألاَّ تفلت من بين يديها .

***

نبيل فى غرفتـه يرتب أوراقه على مكتبه وفجأة يضـرب جرس التليفون ورفع السماعة ليرد على الطرف الثانى :

– نعم رضوى يا سيدى نبيل .. أخيـراً عثرت عليك يا أستـاذ أنت مثل الزئبق لا تهدأ فى مكان واحد .. اليوم لى أكثر من أسبوعين أبحث عنك .

بانفعال شديد يرد عليها

– هل جننت يا رضوى ..

قالت :

– أنت الذى أفقـدتنى عقلى .. ماذا أفـعل .. ؟ حاولت عدة مـحاولات لكى أقابلك لنرى حلاً لمشكلتنا ..

وتهدج صوتها ثم أجهشت بالبكاء وارتفع صـوت نحيبها .. وتأثر نبيل لذلك فسألها فى لهجة حنون:

– ماذا هناك .. ؟ ماذا بك يا رضوى .. ؟

فلم تجب ، وظل صوت نحيبها تحمله أسلاك التليفون إلى أذنه فى ظلام الليل الذى كان يسود غرفته إذ ذاك ، وعاد يكرر السؤال :

– ماذابك يا رضوى .. ؟ لم تبكين هكذا ؟

وانتظر أن تجـيب ولكنها لم تـفعل .. كـانت إذ ذاك قد تجلدت فـانقطع

نحيبها ، وساد سكون رهيب ، وبدأ يضـيق صدره فقد فضل فى بادئ الأمر أن يتحـمل ثورتها لأنه كان قـد شعر بأنه كان مـخطئًا فى حقـها ، ولكن لما غلت فى العناد انفجر هو الآخر قائلاً :

- أتودين أن تردى أم لا .. ؟

فلـم تجب ، وعندئذ قال وهو يعيد السماعة إلى مكانها :

- براحتك .

***

إلاَّ أن جرس التليفون دق ثانية ، فتركه يدق عدة مرات إلى أن خشى أن يستـيقظ من فى البيت فـرفع السماعـة ووضعهـا على أذنه دون أن يجيـب ، وسمع من بعيد نحيبًا خافتًـا متقطعًا .. وصوتًا يقول فى نبرات مرهقة واهنة ممزوجة فى شىء من الذل والمهانة :

- لماذا تفعل ذلك .. ؟

ولـم يجب ، ثم عادت تسأله :

- أيهون عليك أن تقذف بالسماعة فى وجهى .. ؟

ففـضل أن يظل صـامتًـا دون أن يجيب ، وعندئذ اشـتدت ثورة بكائـها وقالت وكأنها تتشبث به :

- أجبنى .. أترانى أكلم نفسى .. ؟

فأجاب فى برود :

- ماذا تريدين .. ؟

- أريد أن أعرف لماذا انقطعت عن زيارتنا .. ؟

قال ساخرًا :

- بجد لا تعرفين .. ؟

- لا .. أبدًا .. أحس بأنك لم تعد تحبنى .. كما كنت تحبنى من قبل،

مقاطعًا لها قائلاً :

- كفى عن هذا الهراء .. كفى عن هذه السيرة .

دعينا نتحدث فى موضوع آخر إلى أن تهدأ أعصابك . ثم نعود لها.. أخبرينى ماذا تلبسين الآن ؟

فاستعادت شمس هدوئها الطبيعى وأجابته بصوت خنقته الدموع :

- كأنك لا تعرف ماذا ألبس .. ؟

- لا. من أين لى أن أعرف .. ؟

لقد تملكت هدوءها تمامًا وأخذت تتباسط وتمزح معه قائلة :

- أوه أيها الطفل الكبير .. تحب أن تسمعنى دائمًا أكرر لك أننى لا أرتدى إلاَّ الألوان التى يستريح لها بصرك .. إننى أتحدث إليك الآن وأنا ملتفة بثوب الغرفة الأزرق الذى كنت أطل به من شرفة بيتنا عندما مررت عصر يوم منذ شهر مضى بسيارتك فى الشارع الذى نقطن فيه .. والذى سألتك عن رأيك فيه فأجبتنى : مدهش هذا الثوب «يا ليلاه»

- ألازلت تذكرين يا رضوى يا ابنة زكريا عبد العليم .

- لم تقول لى الآن يا رضوى .. أنسيت «ليلاه»

- كيف تريدين أناديك .. ؟

- «ليلاه» ثم إنك لا تحس بثقل ظلك وأنت تنادينى باسمى كاملاً .. أتعرف بم تذكرنى إذ ذاك .. ؟

- بماذا «يا ليلاه»

- الله .. محلاها من فمك .. خارجة منه كالشهد .. ألا زلت لا تذكر من كان ينادينى باسمى كاملاً :

- من يكون هذا ذكرينى .. ؟

- الأستاذ أحمد نفادى الشهير بأحمد حمدى ..

- آه .. تذكرت .. هذا هو مدرس اللغة العربية ..

- تمام .. كم قال لى وهو يضرب المنضدة بقبضة يده «يا رضوى يا ابنة

زكريا عبد العليم الدهشان . وجـهك إلى الحائط .. وإياك أن تلتفتى خلفك أو تتكلمى» .

- شقية منذ طفولتك ..

- كان زمان .. أما الآن فلم أعد شقية .. منذ عرفتك تعلمت السير على العجين دون أن ألخبطه .

- نعم .. اجلبى الشر .. أتريدين العودة إلى الشجار ؟

- لا إننى لا أود أن تلقى بالسماعة فى وجـهى مرة أخرى .. أتعرف لماذا سألت عليك فى البيت الساعة السادسة ؟

- لا .

- لأن عمـتى بثينة مرت بنا وأخـبرتنا أنهاحـجزت مقصـورة فى المسرح الذى تمثل عليه إحدى فرق التمثـيل فى القاهرة . ألحت علىّ أن أصحبها .. حاولت أن أعـتذر بالصداع وتوعك الصـحة ولكنهـا لم تقتنع .. اقتـحمت غرفتى .. فـتحت دولاب ملابسى واختارت ثوبًا صمـمت على أن ألبسه .. ورغم ذلك كله لم أستطع أن أقبل الخروج معـها قبل أن أستأذنك .. سألت عنك فى البيت ولما ردت علىّ زوجتك أعدت السماعة دون أن أفتح فمى.. وعاودت السؤال بضـع مرات.. كنت فى كل مرة أسمع صوتـها أخجل من السؤال عليك ، أتعرف لماذا كنت أسأل عنك ؟

- لا... لماذا .. ؟

- كنت أريد أن أخبـرك بأننى سأخرج مع عـمتى بثينة لأننى خـشيت أن تلمحنى راكبة إلى جانبها أو داخـلة معها إلى المسرح أو خارجة منه دون أن يكون لديك علم سابق ، أترى كيف أحـرص على شعورك ، وأتجنب كل ما يحتمل أن يغضبك ؟! بينما أنت ...

- هيه تحومين دائمًا حول ما يوحى بالشجار .

-لا تخف .. يكفى أن تعلم أننى ظللت طول الوقت جـالسة إلى جانب

عمتى على أن تترك المسرحية فى منتصف الفصل الثانى ، لست أدرى لماذا أفعل كل هذا من أجلك أنت .. ؟

- ألا تعرفين .. ؟

-لا .. أنا لم أعد أعرف شيئًا بالمرة ..

-أبعد كل هذا لا تعرفين شيئًا ..

وقاطعها ليقول لها فى حب ووله العاشقين :

- كيف لا تعرفين يا حبيبتى .. ؟ إنك أعظم خبيئة فى هذه الدنيا .

- هذا رأيك فى ؟ أشكرك على كل حال ..

- لاشكر على واجب ..

- إن قولك يثير أعصابى ..

- فقال لها محاولاً تغيير مجرى الحديث :

- وماذا فعلت بعد أن عدت من المسرح مبكرة . ؟

- آه .. نسيت أن أقول لك وأخبرك ، فتحت كتابًا فرنسيًا كان قد أحضره لى أستاذ الفرنساوى وأهداه لى ، أتعرف أنك يجب أن تقرأ هذا الكتاب إنه سوف يعجبك ، إننى على استعداد أن أعيره لك

- ماذا يحوى هذا الكتاب .. ؟

- مجموعة قصائد للشاعرة «مارجريت بروفانس» .

إن هذه المرأة مدهشة، اسمع سأقرأ لك بضعة أسطر ترجمتها أنا بنفسى.

ولما ضحك ضحكة مكتومة فهمت هى ما يرمى إليه من ورائها قالت محتجة :

- لماذا تضحك .. ؟ أيخيل إليك أنك وحدك القادر على الترجمة من الفرنسية ..

- لم أقل ذلك ..

- إذن اسمع أولاً .. وبعدها يمكن لك أن تبدى رأيك .. وأنا سوف

أقبل نقدك مهما كان من القسوة .

وبدأت تلقى ترجمتها العربية لسطور الشاعرة الفرنسية العاشقة :

- «أحب أن أصمت وأنا أنظر إليك .. أن أحس بحبي لك يسرى في عروقي كما لو كان حديداً محمياً ومنهوزاً دون أن أصرخ .. أن أغفو عندما أفكر في قسمات وجهك دون أن أنام .. أن أتتبع بنظرى تلك الشرايين النافرة الفاتنة في ظهر يديك دون أن ألمسها .. أن أرى جسمك المهيب المتحدى قريبًا مني دون أن أدنو منه .. أن أشقى بهذا الهناء وأتعذب .. أحب أن أصمت وأنا أنظر إليك» .

ولم تكد تنتهى رضوى من إلقاء هذه الترجمة حتى سألته مهللة :

- لا .. لا تغالط وحياتك .. لا تغالط بالله عليك ، .

قل الحق .. ما رأيك في هذا الأسلوب .. ؟

- مدهش .. لم أكن أعرف أنك قوية في الفرنساوى هكذا ..

فضحكت ضحكة ساذجة واستمرت قائلة :

- لسنا في مزاح الآن .. أرجوك أخبرنى هل وفقت في ترجمتها أم لا ؟

- قلت لك أن الترجمة مدهشة ..

- إنك لكاذب .. إنك تسخر مني ..

- احترت معك .

- لن أسألك مرة أخرى ، اسمع ترجمة هذه القطعة الثانية وأخذت رضوى تلقى ترجمة عربية لذلك الشعر الفرنسى :

لست أدرى إذا كنت قد أقبلت أو رحلت .. هل حلمت؟ وذلك الصوت سمعته منذ لحظة ، أكان صوت الريح وهى تداعب النافذة ، أو صوت الهرة التى كانت تريد اقتحام غرفتى .. ؟

من ذا الذى دق بابى .. ؟ لقد سمعت وقع أقدام تقترب من فراشى ، أكنت أنت أقبلت تتحقق مما إذا كنت قد استغرقت في النوم ومما إذا كانت

نوافذ غرفتى قد تركت مفتوحة ومعرضة جسمي لعبث الهواء ، أو أنه شبح حبيب تقدم فى ملكة الليل ليخون عزلتى .. ؟

هل حلمت ؟ لقد نعق البوم ليلة أمس وسمعت نعيقه بأذنى . ولكن هذا الصوت الآخر ، هذه الصرخة الأخرى التى أسمعها من فوق كتفى والتى تضحك ساخرة من النوم وتحاول إيقاظى .. لست أدرى إذا كنت أقبلت .. إذا كنت رحلت .. هل حلمت .. ؟»

فلم تكد تنتهى من تلاوتها فى دهش لمقدرتها على إتمام تلك الترجمة التى لم يكن متوقعًا أنها تستطيع إتقانها بتلك السرعة .

وكانت يده إذ ذاك قد بدأت تعبث ببعض كتب موضوعة على المكتب الذى يتوسطه آلة التليفون ، وتوقفت عند قصة فرنسية للكاتب ، «أوجست بابى» سماها «ليلة» .

كان قد انتهى من قراءتها قبل ذلك ببضع ساعات ، وكان قد راقه حوار دار بين اثنين من أبطال القصة ، فقال لرضوى وقد بدأ يحس بذلك الجو الشاعرى الذى غمرته به تلك السطور التى كانت تفيض حنانًا والتى تلتها على مسمعه :

– أتعرفين يا ليلاه .. ؟

قالت فى فرحة وإعجاب شديدين :

– الله .. أرجوك قلها مرة أخرى .. إننى أحب سماعها مرات ومرات .

– أتعرفين يا ليلاه .. ؟

– قل ياعيون ليلاه .. إننى أدللك كما كانت ليلاه تدلل قيسها .. تفضل يا قيس

– إننى انتهيت اليوم من قراءة قصة كنت أعتزم إرسالها إليك وقد أشرت على مقدمتها رأيى فى بعض مواقف منها راقتنى كثيراً .

– اقرأ لى شيئًا منها ..

وبدأ يقرأ ذلك الحوار الرائع الذى وفق فيه «بابى» فى كتابته مصوراً روح الشاعر المحب الذى خيل إليه أن السعادة بعيدة المنال عنه .

– لو أنه كان فى استطاعتى أن أكيف حياتى كما أشاء لقضيت كل عام ثلاثة أشهر فى باريس .. ثلاثة أشهر فقط لا أكثر .. أما بقية العام فإننى أمضيه فى منزل ريفى صغير تحيط به الحقول والمراعى والماشية .. سأعمل ، سأعمل ، سأتعلم كيف أسوس رجال مزرعتى ، وسأنجب أطفالاً ..

فقاطعته مبتسمة وأشاحت بيدها فى حركة أرادت بها أن تمسح كل الخيالات التى صورت له :

– أى جنون .. لا يجب أن تحلم ..

– من العسير أن تمنعينى من الحلم كم تمنيت أنا الآخر أن أحيا نفس الحياة التى تصورينها فى هذه اللوحة التى انتهيت من رسمها.. ولكنى أخاف العزلة ..

– أنت لست فى عزلة .. لديك زوجتك .. وهى زوجة وفية وأولاد يملئون البيت صياحًا وضجيجًا .. إذن أين هى العزلة التى تخافها ؟

– بالرغم من كل ما ذكرته فأنا أشعر بالعزلة ..

قالت له مازحة ومداعبة :

– لا .. هذه فلسفة .. لا أقدر على مجاراتك فيها .. وآن الأوان علىَّ أن أقل لك .. تصبح على خير ..

***

كانت وجنات أخت رضوى على جانب من الرشاقة والجمال .. ولها ثروة عظيمة من ذهب شعرها .. ولآلئ أسنانها .. وقد احتفظت بجمالها ورشاقتها ما استطاعت إلى ذلك سبيلا .

وكانت مغامرتها مع صفوت بك تسلية بالنسبة له .. وجنونًا بالنسبة لها.

***

وتكونت من (صافى) ، (فيفى) ، (نانى) ، (سوزى) وعلى رأسهن (وجنات) عصبة تزعمها فؤاد لأنه كان أوضع الجميع حيلة .. وأسرعهم خاطراً.. وأقدمهم فى طلب العلم ، سامق العود كعود القصب .. وله شارب مهذب .. وبوجهه حمرة خفيفة وهو لايزال يطلب العلم .

قال فؤاد لرفاقه ذات يوم :

– لقد مضى عام كامل منذ وعدنا وجنات، وصافى، فيفى، نانا، وسوزى بمفاجأة طريفة، وهن يتحدثن دائمًا عن هذه المفاجأة، ويطالبننا بالوفاء بوعدنا وفى كل وقت وكل أوان يكتبن إلينا على الدوام ويحثوننا على العودة إلى أحضانهن، وأعتقد أن الوقت قد حان لكى نقوم بدور الأبناء البررة، فما قولكم فى اقتراح يتيح لكل منا أن يضرب عصفورين بحجر واحد؟ وتلاقت رؤوس الفتيان الخمسة وراح فؤاد يدلى باقتراحه العظيم .

وفى يوم الجمعة التالى .. خرج الفتيان الخمسة وعشيقاتهم للنزهة فى حدائق القناطر الخيرية» .

كانت تبدو عليهم جميعًا مظاهر الغبطة والسعادة والسرور .. وكانت وجنات بصفة خاصة أسعد الجميع وأشدهم فرحًا .. فهى تتأبط ساعد صفوت بك وتبتسم فى وجه النسيم الذى يداعب شعرها الذهبى الثمين .. وتجيب على دعابات صاحبها بضحكات رنانة طروب منبعثة من نفس طلقت هموم الدنيا ومتاعبها ..

***

كانت وجنات بمرحها وسذاجتها شبه طهارة طافية على سطح الخطيئة .

ونعم العشاق بالشمس والنسيم والحقول والزهور والأشجار الوارفة ورقص الفتيان .. وغنت البنات .. وذهبت وجنات تسأل بين الفينة والفنية:

– ولكن أين المفاجأة ؟!

فيجبها فؤاد قائلاً :

- صبراً .. فسوف تكون مفاجأة عجيبة ..

ثم تناولوا طعام الغـذاء فى مطعم فندق ماريوت .. وقـالت صافى وهى تنظر نحو صاحبـها سويلم الشهير بسـوسو وقد ثملت بعد احتسائهـا كمية كبيرة من الخمر .. وغمغمت قائلة :

- إننى أعبدك يا سوسو

فسألها قائلاً:

- وماذا تفعلين إذا هجرتك يا صافى .. ؟

فهتفت قائلة :

- إذا هجرتنى !! يا إلهى .. لا تقل ذلك حتى على سـبيل الدعابة .. إذا هجـرتنى فـإننى أطاردك .. وأعـدو فى أثرك .. وأصب الماء على رأسك .. وأسوقك إلى السجن ..

فتـبسم سويلم ابتسـامة الرجل الذى يثق فى نفسـه وهمست وجنات فى أذن صافى قائلة :

- يخيل إلىَّ أنك تحبينه حبا جنونيا ..

فأجابت صافى همسًا :

- إننى أمقته .. فهو شديد البخل وإنى أوثر عليه الشاب الذى يقطن فى المنزل المقـابل لمنزلى ، فـهل تعرفـينه ؟ إنه شـاب ظريف . وقـد بدأت أحبـه ولكن ذلك لا يمنعنى من أن أقول لأسامه : إننى أعبدك ..

ثم تحولت عن حديث أسامة وسألت فؤاداً بصوت مرتفع :

- ولكن أين المفاجأة ؟

وكانوا قد فرغوا من الطعام فأجاب فؤاد :

- هذا صحـيح لقد حان الوقت أيها السـادة لتقديم المفاجـأة التى وعدنا بها السيدات فهلموا بنا ..

قال فؤاد :

- إنها مفاجأة تبدأ بقبلة ..

وأردف صفوت بك مكملاً :

- على الجبين ..

همهمات احتجاج من الرجال .. ومع ذلك طبع كل منهم قبلة على جبين صاحبته ، وانصرفوا الواحد إثر الآخر ..

وصفقت وجنات بيديها وأضافت قائلة :

- ستكون مفاجأة طريفة حقًا . كل الدلائل تدل على ذلك .. شيعت وجنات الفتيان الأربعة ومعهم صفوت بك وفؤاد بقولها :

- ولكن لا تبطئوا ، فإننا فى انتظاركم ..

قالت فيفى :

- لا شك أنهم سيفاجئوننا بهدايا ثمينة ..

فأجابت نانا قائلة :

- كل رجائى أن تكون هدايا من ذهب ..

وراحت البنات يتحدثن ويضحكن، حتى انقضت ساعة أو بعض ساعة.

وطال بهن الانتظار واستولى عليهن السأم ، فقالت سوزى بلهجة من يستيقظ من نوم عميق :

- ولكن أين المفاجأة .. ؟

فهتفت وجنات قائلة :

- نعم .. أين المفاجأة .. ؟

وهبت فيفى قائلة :

- لقد طالت غيبتهم .

وتنهدت .. وفى هذه اللحظة أقبل عليهم الخادم وبيده رسالة فصاحت قائلة :

- ما هذا .. ؟

فأجاب الخادم قائلاً :

- هذه رسالة تركها لكن أصحابكن ..

قالت صافى داهشة :

- ولماذا لم تجئ فى الحال .. ؟

قال الخادم :

- إنهم أوصونى بأن أقدمها إليكن بعد انقضاء ساعة .. واختطفت وجنات الرسالة وفحصتها في غيظ .. واشتد غيظها عندما قرأت على غلافها هذه الكلمات :

«هذه هى الهدية المفاجأة»

وفضت وجنات الرسالة .. وقرأت فيها ما يلى :

- أيتها الحبيبات يجب أن تعلمن أن لنا آباء وأمهات .. وأن هؤلاء الآباء يزعمون أنهم أحق بنا من سواهم .. ويصفوننا بالعقوق .. ويطالبوننا بالعودة لأحضانهم .. ولما كنا من أبر الأبناء بآبائهم .. فإننا نسارع لتلبية ندائهم .. وستصلكن هذه الرسالة ونحن فى طريقنا إلى ذوينا .. والمركبة تنهب بنا الأرض نهبًا .. مبتعدة بنا عن الهاوية ، والهاوية أنتن أيتها الصغيرات العزيزات .. نعم إننا نعود الآن للمجتمع .. وإلى الواجب والنظام بسرعة تسعة أميال فى الساعة .. ومن الضرورى لوطننا العزيز أن نصبح - كغيرنا - آباء .. وجنوداً وموظفين .. فالتضحية من جانبنا جسيمة وجديرة بإعجابكن وإكباركن ومن الخير لكن أن تجففن دموعكن ، وأن تستعضن عنا بسوانا بأسرع ما تستطعن .

الإمضاء

فلان ، فلان ، فلان ... الخ

ملحوظة : لقد دفعنا ثمن الطعام والشراب بالكامل .

***

وحملقت كل فتاة فى وجه الأخرى .. وتكلمت وجنات أخيراً فقالت :

- إنها فى الحق دعابة بارعة الإحكام والتدبير وأكبر ظنى أنها من ابتكار وصنع فؤاد .. وأظن أنى قد بدأت أحبه ..

وقالت صافى :

- كلا كلا .. إنها دعابة سويلم الشهير بسوسو .. ذلك واضح جلى .

قالت فيفى بسخرية وتهكم :

- حبيب القلب يا صافى ..

وقالت سوزى :

- ليسقط إذن سويلم الشهير بسوسو .. قولوا معايا .. يسقط سوسو..

قال خلفها الجميع وكأنهن فى شبه مظاهرة :

- يسقط سوسو

قالت صافى :

- ويحيا فؤاد ..

ردد الجميع خلفها:

- ويحيا فؤاد ..

وانفجرن ضاحكات . وضحكت صافى كذلك ولكنها لم تكد تعود إلى غرفتها بعد ساعة حتى انفجرت باكية وقالت وجنات مستطردة بعد توقفها ثوان لتكمل كلامها :

- مسكينة صافى .. كانت هى مغامرتها الأولى مع سوسو وقد أسلمت نفسها له ..

قال صفوت بك مكملاً لكلام وجنات :

- كما لو كان زوجها ، وشعرت بثمرة الخطيئة تتحرك فى أحشائها ..

قالت وجنات مكملة لكلام صفوت :

- فى الإمكان التخلص منها ..

قالت نانا :

- كيف .. ؟

قالت وجنات :

- لو أرادت أنا أدلها على طبيب يعمل لها عملية تفريغ دون أى ألم .

***

إن حادث طرد رضوى من بيت نبيل كان بمثابة إعصار مدمر اجتاحها ليدمر نفسيتها ويخربها .. ليوصلها إلى حالة انعدام الوزن واللامبالاة التى أصبحت عليها الآن وكل هذا بسبب انعدام الأمل عندها فى عودة نبيل لها.. وزواجها منه .. أو تكون خادمة له وعشيقة .. لقد رضيت أن تكون له عشيقة .. ولكن والده رفض تمامًا هذا العشق وأصر على رأيه كما أن تمسكت والدته بالفضيلة .. ورفضت أن تكون لابنها عشيقة ..

سارت على غير هدى .. شبه فاقدة للوعى .. ذاهلة من ضياع حبيبها نبيل منها .. أو قيس هذا العصر .. لقد أصابها خلل وخبل فى قوى عقلها وأصبحت قريبة جداً من الجنون ..

ضاعت حياتها بضياع نبيل لأنه هو بذاته حياتها ، إنهما توأمان ، حياتها وحياته لا ينفصلان أبداً ..لكن دوام الحال من المحال ..

إنها تعيش حياة الضياع .. وتسلم نفسها للشباب المتعطش للحب المحرم دون أن تدرى ماذا تفعل ولماذا تفعل .. عاشت مع راغبى المتعة الحرام بلا قلب ولا مشاعر ولا غرائز ولا أحاسيس التى خلقها الله بها..

كانت فى حالة بلادة .. هادئة مستكينة لا تثور ولا تتمرد .. وكل من يداعبها تسلم له نفسها ببلاهة بلاحب .. بلا غرائز ومشاعر وأحاسيس وأصبحت لاتميل إلى الممارسات الجنسية التى كانت مولعة بها .. كرهتها وكرهت متعتها ونشوتها .. بعد أن أصابتها حالة البلادة .. بسبب حرمانها من متعتها مع نبيل .. لامتعة لها بعد متعتها مع نبيل ..

حتى زوجها الأنانى الثور الهائج لم تعد تهتم بمتعتها معه .. كانت المعاشرة بينهما وبين زوجها مجرد تقضية واجب لا أكثر ولا أقل ..

لقد كفرت رضوى بالحب فعاشت بين المحبين بلا قلب .. وظلت هكذا حتى مر عليها عام كامل .. وفجأة خرجت من حالة اللامبالاة التى هى فيها.. وخرجت من هدوئها واستكانتها .. وصمتها .. تحولت إلى النقيض تمامًا تحولت إلى حالة شديدة من القسوة .. وتحولت إلى نمرة شرسة لاترحم ضَعفك .. وتفترس بمخالبها كل من يقترب منها.. بعد أن سيطرت عليها رغبة جامحة وملحة مجنونة وهى إذلال الرجال والانتقام منهم . فى صورة الرجال الذين ظلموها وأذلوها وهم زوجها الثور الهائج الذى اغتصبها فى ليلة عرسها . والاهتمام بمتعته هو فقط.. ولا يبالى ولا يهتم بمتعتها هى وتشوقها ، كما أنها تنتقم من الرجال وتذلهم فى صورة والد نبيل .. الذى حرمها من حبيبها فى أن تظل إلى جواره ليعوضها عن حرمانها من زوجها الأنانى الثور الهائج .. التى اكتشفت فى ليلة عرسها أنه لايشبع ولا يغنى من جوع .. كما أنها تنتقم منهم فى صورة والدها الذى هو السبب في وجودها فى الحياة .. إنها غير سعيدة فى حياتها بعد أن انغرست فى مستنقع الوحل .. الذى انغرست فيه والدتها حتى أذنيها .. قررت أن تثير الرجال وتنتقم منهم بإيقاعهم فى شباكها وتجزل لهم العطاء حتى يدمنونها.. ولا يمكن لهم الاستغناء عنها .. هنا توقف العطاء وتتركهم كالكلاب يلهثون وراءها .. وهنا تشعر بلذة الانتقام .

***

لم يمر على رضوى سوى سنة واحدة بعد أن تركها نبيل بضغط من والده ووالدته .. وبعد أن استردت صحتها عادت إلى سيرتها الأولى لم تضيع وقتها هباء . فقد وقعت على هذا الصيد الذى اصطحبها معه فى سيارته وأثناء سيره بالسيارة كان يطوق ظهرها وهو يقود سيارته وهى

هابطة إلى القاهرة ثم طبع على كتفها قبلة طويلة .. قابلتها هى بأن ألقت رأسها على كتفه تنهدت تنهيدة طويلة حارة وهى تتمتم تسأله قائلة :

- أتحبنى يا سامى ..؟

فأومأ برأسه أنه يحبها ، وعندئذ دفع السيارة بسرعة جنونية هائلة وهى تقول :

- تكتفى بهزة رأسك كلما سألتك هذا السؤال ، لما لا تقبل أن تقول لى نعم أحبك ..؟

ليكن ، ودعنى أنا أقولها لك وأكررها .. ولن أطلب منك أن تبادلنى حبى لك مرة أخرى .. وسأظل أحبك ولو لم تصارحنى بحبك.. ولكن لاتحب غيرى وأنا مثل الفريك لاأحب شريكًا أتسمعنى ياسامى ياحبيبى . لا أود أن أسمع أنك تحب امرأة أخرى . وبميدان روكسى بمصر الجديدة نزلت من السيارة وسارت وهى تلوح له بيدها محيية .

وذات يوم التقى بها وتناول معها الشاى بأحد الأماكن الهادئة ، وبعد ذلك ركبت السيارة معه وانطلق بسيارته للتنزه معها فى شارع الهرم وبعد برهة أطالت النظر إلى عينيه ثم قالت له فجأة وهى تبتسم :

- ألم يخطر لك منذ عرفتنى أن تسأل نفسك ..

ما شعور هذه المرأة نحوى ..؟

وفيما تود أن تقوله ولكنه تخابث وهز رأسه كأنه يستوضحها ، واستمرت قائلة :

- اسألنى .. ماشعورك يارضوى ؟

فأرنت وجهها من وجهه وصمتت فترة لمح فيها الدموع فى عينيها على ضوء الشارع ثم تمتمت قائلة :

- أحبك .. أحبك .. وياليتك تقولها لى أنت أيضًا .. ماذا قلت؟

- أحبك .. أكثر مما تحبينى .. يامعبودتى .

- فى أول الأمر كنت أتخيل أنى واهمة ولكنى .. لم أقو .. لم أقو حتى على أن أبعد عنك .. أنا كنت واثقة من شعورك نحوى وأنت صامت صمت أبى الهول ومن أجل ذلك أحببتك .. بكل ما فى من مشاعر وأحاسيس .

- عدينى يا أغلى ماعندى فى هذه الدنيا الأّ تتركينى أبداً .. إننى لا أطيق البعد عنك ولو ثانية أرجوك.. لاتعذبينى بالبعد عنى .. عدينى بذلك .

- أعدك ياقرة عينى .. ياأغلى علىّ من نفسى .

فربت على ظهرها فى حنان وامتنان ..

***

مسكين ياسامى .. لقد خدعتك رضوى بكلامها المعسول هذا ، ومن سذاجتك قد صدقتها .. مثلما خدعت غيرك من قبلك ، وقد صدقها هو أيضًا لسذاجته ، وتركته يتعذب ببعدها عنه ، وشدة حبه لها ، كما ستتعذب أنت الآخر من أجل ذلك ..

ياترى من يكون ضحيتها القادمة ..؟

***

لم يمر أسبوع على رضوى إلا وكان صيد ثمين جديد وقع فى شباكها.

هو المهندس صلاح .. وهو فى حوالى الخامسة والثلاثين من عمره .. شاب ناجح فى عمله .. مستقيم .. من بيته إلى عمله .. ولكن مع رضوى يذوب الجليد ويذوب العابد ، ويصبح خاتمًا فى أصبعها ..

وهاهو معها فى بقعة ، تكسوها الخضرة ..وتطل على بحيرة التمساح بمدينة الإسماعيلية وقضى الاثنان فى هذا المكان يومًا بأكمله .. بين السباحة فى ماء البحيرة ، وصيد السمك من قارب ، والجلوس على الشاطئ، والاستمتاع بالحديث العذب الشهى .. فلما أقبل موعد الغداء أسرعت

رضوى إلى سيارته وعـادت بما كانت قد أعدته بيديها من غـذاء لصديقها ، وبعد أن انتـهيا من الغـداء استلقت على الخـضرة .. ووضعت رأسـها على ساقه ثم أطالت النظر إلى عينيه وهى تتمتم قائلة :

- إننى أحبك وأحس أنك لو شئت لتبـعتك إلى حيث تريد ، ولكنى مع ذلك أعمل ألف حساب للعادات والتقاليد وألسنة الناس التى لاترحم .. لا أتردد لحظة واحدة فى أن أصارحك بما يخيفنى .

افترقا الاثنان على موعد بحديقة الأورمان .

***

وفى الموعد المتفق عليه تم اللقاء واستقبلها صلاح بابتسامة عريضة وشد على يديها فى سـعادة ومرا بالحديقـة واستمتعـا بكل مافيهـا من زهور يانعة نضرة ومناظرها الخلابة ، واستمتعا أيضًا بمنظر غروب الشمس وتمتم قائلاً :

- انظرى إلى قرص الشمس وهو يغيب .. إنه لوحة رائعة الجمال تحتاج إلى رسام يـسجلها بـريشته وأدار بصـره من قرص الشـمس ، وهو يداعب شعرها بيده ، وفى حركة آلية رفع يده التى كانت تداعب شعرها ..

وكانت رضـوى تتظاهر أمامه بالـسعادة البـالغة .. السعـادة الزائفة التى ينضحها وجـهها القبيح .. بينما صلاح مـخدوع فيها ومازال مخدوعًـا فيها وهو يجول ببـصره فى المكان .. لـم يجد أحـداً وقد خيل إليه أنه قـد أصيب بمس من الجنون فأخذ يتمتم قائلاً :

- ماهذا .. ؟

وسألته هى فى حنان زائف دون أن تفهم شيئًا :

- ماذا تريد ياحبيبى .. ؟

- لا شيء ..

- لا .. هناك شيء .. ولاتريد أن تخبرنى به

- معك حق .. فـعلاً هناك شيء ويجب أن أخبـرك به ويجب أن تعرفى

ماهو هذا الشيء .. أتعرفين ماهو هذا الشيء .
- لا
- جمالك الآسر الذى جذبنى إليك وجعلنى أحبك ، وجعلك فى نظرى أجمل امرأة فى العالم ، وكاد أن يصيبنى بالجنون .
كان لقاء ممتعًا بالنسبة له .. أما بالنسبة لها فكان لقاء بلاعودة بعد عدة لقاءات شبعت فيها منه بما فيه الكفاية .

***

لم يكن أحد يحبها مثل ما أحبها رضا يوم عرفته . فإنه اجتاح حياتها ، فقد كان آنذاك شابًا فى حوالى الثلاثين من عمره شابًا أشقر .. وشعره أصفر ناعم كسبائك الذهب ..
له عينان زرقاوان .. فى زرقة السماء .. وهو لا بالرفيع .. ولاهو بالبدين.. ولاهو بالطويل .. ولاهو بالقصير .
كان رضا يحب عمله حب العبادة .. بل حبًا جنونيًا .. ويفضله على أجمل امرأة فى الوجود .
وذات يوم التقى برضوى فى إحدى دور العرض السينمائى ، ثم قالت له فى صوت خافت بعد أن رمقته بنظرة هادئة طويلة فى صوت تعمدت أن تضفى عليه مسحة من الخجل والحياء :
- ألم تعرفنى ..؟ أنا رضوى .
- لا تؤاخذينى .. إننى لم أسمع باسمك إلاّ الآن .. الآن فقط .
- ولكنك رأيتنى ذات يوم ..
- أنا لاأتذكر ذلك الآن .. أين .. ؟
- فى مصعد العمارة التى تسكن فيها .. بضع ثوان قضيناها معًا فى ذلك المصعد ، ومع ذلك أحسست بعدها كأنى أعرفك منذ سنين مضت .
وراق له أن يجارى محدثته يومئذ فى ذلك الاتجاه فقال :

- إنك تحـدثينى للمـرة الأولى ، ولكننى أحس أننا تعارفنا منذ زمن بعيد.. أهلاً بك .. أنا سعيد بمعرفتك وتحت أمرك من الآن ..
- هل أستطيع أن أراك .. ؟
- متى .. ؟
- فى الغد . هل يناسبك الموعد
- نعم .. ولكن لماذا ..؟ أعطينى فكرة عن نوع الخدمة المطلوبة منى ..
قالت رضوى :
- لست أدرى .. ولكنى ربما أفعل شيئًا يسعدك . أتستطيع ..؟
- أعتقد ..

***

وعندما خرجا من دور السينما تأبط ذراعها واخترق شوارع المدينة إلى أحد الكازينوهات الموجودة على النيل .. وهناك طال بينهما الحديث ثم نظرت إليه بنظرة ملتهبة تفيض بكل مايجيش بصدرها من مشاعر وأحاسيس ثم همست له قائلة :
- ماذا فعلت بى ؟ مازالت كلماتك ترن فى أذنى .. أريد الآن أن أطيعك وأهرب معك إلى آخر الدنيا .. إلى أقصى العالم . هيا نهرب معًا ..
- إلى أين ؟
- لاتسألنى سأمر غداً عليك وآخذك من ميدان التحرير ثم .. نهرب .

***

واتفقا على اللقاء فى اليوم التالى فى العاشرة صباحًا .. اعتزم رضا أن يضفى على اللقاء الأول لونًا عاطفيًا خياليًا .. ولم يخطر له ذلك اعتباطًا . بل فكر فيه وقرره لتحقيق غرض معين ..
وكان له صديق ضابط برتبة رائد متقاعد لإصابته فى إحدى العمليات الحربية ، أقام منزلاً ببلدة البدرشين بمحافظة الجيزة بعيداً عن الناس فاتصل

به وأخبـره بأنه قادم لزيـارته مساء ذلك الـيوم ، وذهب للقـياها عند مـيدان التحرير فى المكان الذى اتفق معها عليه ، وعند وصولها إلى هذا المكان كان فى انتظارها فاتجهت مسرعة إلى سيـارته ، وقد لاحظ فى نسمات وجـهها جمالاً آسراً وفى قامتها طيفًا مـثيراً وفى هندامها الذوق كله ، قرر أن يستمر فى مناورته حتى النهاية وقاد سيارته إلى طريق البدرشين فسألته :

- إلى أين .. ؟

-لا أدرى ..

- كيف .. ؟

- أود أن أهرب بك من الناس ..

وظلت السيارة سائرة .. وطال سيرها وعادت تسأله :

- ابتعدنا كثيراً عن العمران ..

- لاتخافى .. ألم أقل لك إننى مسئول عنك ..

- وإذا تعطلت السيارة .. ؟

- سنجد طعامًا وماء ، أنت تطهين الطعام وأنا أحضر لك الماء .

- وأهلى ماذا أقول لهم لو تأخرت عليهم .. ؟

لقد عـرف من رضوى أنها تزوجت زواجًـا مبكراً ، وأنها عاشت حـياة زوجية راكدة ، مملـة متشابهة لا يثيرهـا حب زوج ، ولا تلهبها متعـة مثيرة ، فرأى أن ينقلها من تلك الحياة إلى النقيض ..

أما هى فقد حولها حادث اغتصاب زوجها لها فى ليلة فرحها إلى شىء آخر ؛ إلى رغبة فى الثأر من كل شىء حتى من نفسها .

وبعد أن وصـلا إلى البدرشين سـألته وهـى تسير معـه وسط المزارع بعد فترة وجيزة من الصمت وهو متأبط ذراعها :

- هل حضرت مع امرأة أو فتاة أخرى إلى هذا المكان .. ؟

قال لها : أبداً .

قالت له : ولن تأتى مع أخرى ؟
قال لها : أعدك .

***

ولما عاد رضا إلى منزله بعد قضاء هذه الأمسية معها كان ضميره متعبًا ، فقد كذب على رضوى عدة مرات .. لم يكن معقولاً أن يحس بأنه عرفها قبل ذلك بزمن طويل ولم يتمن قط أن يهجر العالم من أجلها .. وليس صحيحًا أنه لم يدع غيرها إلى ذلك المكان .. وانقضى على علاقتهما عامان كاملان .

***

كررت رضوى اللقاء به وسلمت نفسها له فكان حبها الزائف يجرفه جرفًا شديداً نحوها .. بالرغم أنه كان يلهو كما يلهو شاب عزب حتى الثلاثين من عمره .. وتحدثت إليه رضوى ذات يوم فعلم أنها تستطيع أن تحضر إليه ..

عندئذ فكر فى المكان الذى سيذهبا إليه معًا ، واعتزم تكملة «المناورة» التى بدأها معها ، فحملها إلى مقهى ريفى يقع فى طريق بلدة شبرامنت بمحافظة الجيزة ، مقهى هادئ يحيطه سور مطلى بلون أخضر مرتفع تختفى مقاعده تحت كروم العنب المتدلية وتتنقل فى فنائه مجموعات من البط والأوز والدجاج يعتنى صاحب المقهى بتربيتها ..

وعندما اختلى بها نظر إلى عينيها ، كانتا تومضان ببريق مخفيف ، كان يبدو فى نظراتها أثر الإجهاد العنيف والمقاومة الطويلة العنيفة .. وكانت شفتاها الغليظتان ترتعشان .. رعشات خفيفة .. رعشات امرأة تجاوزت الثلاثين من عمرها ولم تذق بعد طعم الحب .

كاد رضا يستمع صراخاً يدوى فى جوف تلك المرأة من شدة جوعها وعطشها ، ثم لم يكد يصل إلى تلك الشفتين .. ولما قبلها شعر بأنها تريد

بتلك القبلة أن تقتل كلمات كانت تتفوه بها على الرغم منها .

***

وذات يوم كانت فيه رضوى مع رضا فى داخل المنزل الريفى ببلدة البدرشين وبعد صمت طويل سألته :

- لماذا جئت بى إلى هذا المكان مرة أخرى .. ؟

- أعلم أنك سعيدة بالمجىء إليه .. أليس كذلك ؟

قالت فى شىء من التردد :

- نعم ولكن ..

قال لها مقاطعاً :

- ولكن ماذا ؟ لماذا تريدين الهروب من هذه السعادة .. ؟

قالت له وهى مهمومة وحزينة وواجمة وفى شىء من التردد :

- اسمح لى أن أوضح لك شيئاً .. أرجوك لاتغضب منى يارضا ولا تغضبنى .. أنت تعرف أننى زوجة وأخشى أن أزل أكثر من ذلك .

***

كانت رضوى تشعر بأن رضا لايمكن أن يكون لها وحدها ، وما كانت تسمعه ، كان لايزال يتابع حياة العبث التى لا زمام لها .. كان يرى أن تعدد مغامراته هو الغذاء الوحيد له .. وكاد رضا ينسى رضوى ، بين كأس مع امرأة ، ونزهة فى السيارة مع أخرى ، وقصة مع ثالثة .

أتاحت الحرية لرضوى أن تكثر من مقابلته ، قضيا ساعات من الحب العنيف فى منزل هادئ فى ريف مصر .. وتبين الشاب أنه لم يكن يلهو مع تلك المرأة إنما كان يحبها حبا جما فأصبحت جزءاً من كيانه لا يستطيع التخلى عنه .. وكان يسخر دائمًا من فكرة الزواج والاستقرار مع امرأة فما معنى الحياة المستقرة إلى جانب امرأة واحدة ، ولكنه أصبح من التنقل الذى يلوث روحه ، كوب من الماء «المعين» تحضره رضوى بنفسها من «ظلمبة»

الحديقة أشهى من أى شراب فى أفخم فنادق القاهرة .. دقائق لو مال فيها برأسه على صدرها تمسح عناء عمل دام النهار كله .. قبلة تطبعها على فمه تبعث فيه الاعتزاز بالنفس والثقة فى المستقبل مع رضوى ولكن رضا أحس بأن شيئًا قد تغير .. وأن شيئًا يفصل بينه وبين رضوى .. وراق له ذات يوم وهو جالس معها فى المقهى الريفى بطريق بلدة «شبرامنت» أن يطيل النظر إلى عينيها فسألته :

– ما الذى يلفت نظرك فى عينى ؟ فمر برفق على جبينها ثم قبلها ..

وعادت مرة أخرى تسأله بعد أن لامها لأنها لم تحضر فى موعد حدداه من قبل :

– أتريدنى إلى جانبك نهاراً وليلاً ؟

– نعم

– خذنى إذن ..

***

كان يشعر فى أعماق روحه بأنها له وحده وبأنه لن يكون لغيرها . أما هى .. أما الأم التى ترى ابنها شابًا فى سن الزواج . فقد كانت تصارع الزمن صراعًا جباراً .. كانت ترتعد من فكرة الزواج بعد أن يفوت الوقت وتصبح حماة وجدة كانت تتوقع منه أن ينهض مسرعًا وأن يحضر «المأذون» وأن ينتهى كل شىء فى دقائق .. فلم يفعل .. لم يفعل لأنه كان مطمئنًا إلى المستقبل الباسم ..

أما هى فقد تحول حبها القديم إلى شىء آخر .. إلى رغبة فى الثأر .. الثأر من كل شىء حتى من نفسها . وملأت خيالها فكرة حاسمة .. هى ليست إلاَّ ساعات تقضيها فى المنزل النائى وسط المزارع تستمتع فيه بغناء الفلاحات .. أو فى المقهى الريفى بطريق بلدة شبرامنت تشاهد جماعات البط والأوز والدجاج وتخرج الماء من «طلمبة» الحديقة .. إنها شىء آخر ..

إنه يلهو ويخـدع ويعيش فى مغـامرة طائشة ، ثـم تبين له أنه عاشق وأن رضوى حبه الأول ..

وذات يوم غادر المسكن الـذى كان يقضى فـيه أوقاته مع رضـوى وسار على قدميه بجانب شاطئ الترعة ..كان الظلام حالكاً .. حتى الأنوار الخافتة التى كانت تومض من بعيد فى قوارب الصيـد المتأرجحة على قمم الأمواج اختفت .. كان يفكر فى رضوى . وفجـأة فرق السكون صوت سيارة مرت مسـرعة إلى جانبـه ودخلت فى إحدى الطرقات الصـاعدة من ذلك الطريق الموصل إلى بلدة شبرامنت وارتفعت ضحكة امرأة يعرفها .. إنها هى نفسها رضوى .. هبطت من السـيارة تتأبط ذراع شـاب وتقدمت معـه إلى المقهى الريفى من ذلك الطريق .. وفـى اليوم التـالى علم أنهـا باعتـه بأرخص ثمن ولافت على غيره .. وتركـته لعذاب الحب والهجـر والحرمان المرير الذى لا تهدأ ناره .

***

هل هناك امرأة فى فجور ومجون رضوى واستهتارها .. وبجاحتها وقلة أدبها وقلة حيائها .. أنا فى غاية الدهشة والاستغراب لتصرفها المشين .. هل يصل بها الحقد ولذة الانتقام وإذلال الرجال إلى هذا الحـد .. تحضر عشيقها الجـديد حـمدى الشـاب الأعـزب إلى المكان الذى كـانت تـتقابل فـيـه مع عشيقـها السابق رضا . فى البيت الريفى ببلدة البـدرشين جيزة .. والغرض من هذا هو تعذيب رضا والانتقام منه وإذلاله .. وإحـسـاسها بلذة الانتصار عليه .

وأصرت رضـوى على استئجـار نفس الغرفة ونفس الفـراش الذى كان يضاجـعها فيـها رضا لكى يضـاجعها فـيها الليلة العـشيق الجديد لتـغيظ به رضا.. وأصرت على ذلك مهما كلفها الإيجار ..

وفعلاً دفعت الثمن غاليًا لأصحاب الغرفة والفراش ..

وكثرة المال تغرى .. جعلت أصحاب الغرفة والفراش يوافقون على ذلك.. وأقبلت رضوى على حمدى أقبلت عليه بكل حسنها وشبابها وإقبالها المثير فتشعلها فى نفسه وقلبه وجسده حريقًا لا خمود له ..

ولما أحست بانصهار أعصابه أخذت تضحك ، وتضحك ، وتضحك وهى ترفع طرف ثوبها دلالاً عن ساقيها الفريدتين ، وكلما ضحكت ، اهتز معها العذاب الشهى صدرها الذى لم تسجنه مرة خلف «الستيان» .

وضمها الشاب إلى صدره وطبع على فمها قبلة أفاضت بمشاعرها .. وأسلمت نفسها إليه وأحس أنها تتفانى فيه ، كما أحس بأنفاسها تصهر أعصابه ، وبصدرها الرطب يدق على صدره فى إلحاح مثير ، وبوجنتيها تحرضان شهوته تحريضًا صريحًا .. ولم يعد يعى من حوله ولامن أمر الدنيا شيئًا ، وذابت بين ذراعيه ، وذاب بين ذراعيها .

***

حمدى بعد أن أسعدته رضوى ليلة أمس فى البيت الريفى ببلدة البدرشين جيزة .. الذى قضا فيه معها ليلة من ألف ليلة وليلة .كان هو فيها شهريار وكانت هى شهر زاد .. أخذ يحدث نفسه عنها ويقول :

- إنها امرأة كاملة الأنوثة وهى فى حاجة لرجل

كما أنه يحتاج إلى امرأة.

وفكر فى أن مثل هذه المرأة تسعده حقًا وتعوضه عن مافات من حياته الجافة ولم يكن يدرى ، كيف يبدأ معها .. ولكنه فجأة اعترته رعشة وشىء من الارتباك والخجل وأخذ يلملم شتات نفسه حيث إنه لأول مرة يضاجع امرأة .

وعندما خرج حمدى يتربص فى الليل الحالم بجوار البحر بشارع كورنيش النيل وحده كان يتصور أن رضوى بجواره وأنه كان يسمع ضربات قلبها يحس بأنفاسها العطرة ويرى وجهها المضىء فى الليل الحالم

منعكسًا على صفحة البحر

وكانت المدينة زاهـية فى نظره بمصابيـحها البلـلورية والأشجار الممـتدة بطول البحر كـانت زاهية بكل مافيهـا من حياة كانت الحيـاة جميلة ولأول مرة يحس بأنه يعيش لغاية وهدف وفكر أن يغير طريقته فى الحياة

وعاد إلى بيـته فرحًـا مرحًا ومسـروراً سعيـداً وأقبل على طعام العـشاء بنفس راضية ومفتوحة وبعد أن أتم طعامه ذهب إلى غرفته منتعشًا

كان قبل أن يذهب إلى فراشه يفكر فى الشابة الحلوة الجميلة

التـفـاحـة التى نضـجت قـبل الأوان ، وظلت صـورتهـا فى دهنه حـتى استغرق فى النوم .

***

رضوى فى اللقـاء الثانى مع حمدى أخذ يـثنى على جمالها ورقـتها وحسنـها وإقبـالها المثـير التى تنفـرد به وحدها دون جـميع النـساء فى العالم . وأخـذ يداعبها ثم أخـذ يداعب خيالهـا بفكرة الزواج منها لأنه أصبح لا يستغنى عنها ولو لثانية واحدة

إن كل مافيـها يثيره كـأنه لم يرها من قبل وأحست هى بأنه يفتـرسها بالنظر واللمس والجذب .. وقد نبهتها غريزتها كأنثى إلى أنه يلتهمها بعينيه ويقتـحمـها ويسافـر فى جسدهـا دون أن يستأذن وفـوجئت بأنه يطلبـها للزواج فى غفلة من زوجها

لم تصده ولم تغضب منه بل انفـرجت أساريرها وقالت فى إغراء أن زوجهـا يموت فيهـا حبًا وهيـامًا إنه يحبـها بجنون ولا يمكن أن يتركـها لغيره ولو أخذ مال قارون

***

كـامليا زوجـة نبـيل رأته فى مكان ليس بغـريب عليـها ومـعه امـرأة تضاحكه ويضاحكها دون كـلفة ولا تحشم ولا أدب هى تعرف هده

المرأة حق المعرفة فهى صديقه تهامى .. حاولت أن تتذكر هذا المكان.. أين ؟ أين ؟ حاولت جاهدة دون جدوى .. وازدادت التعليقات الخارجة عن حدود الأدب .. وكامليا كانت جالسة فى صالة الشقة على الأنتريه الموجود بها .. أمام الغرفة التى هما بها .. وكان بابها مفتوحًا .. وبعد فترة ليست بالقصيرة .. وكانا فى هذه الفترة وحدهما لا ثالث لهما سوى الشيطان ..

دعاها زوجها للجلوس معهما . لم تستجب الزوجة لدعوته لها .. وأعاد النداء عليها .. لدعوتها مرة أخرى .. وسألته عن حاجته منها :

- ماذا تريد .. ؟ أتريد شايًا . ؟

قال :

لا ..

قالت :

- إذن ماذا تريد منى .. لماذا تدعونى ..؟

قال :

أدعوك لتجلسى معنا .. بدلاً من جلوسك وحدك .. ولم تستجب لدعوته .. وظلت فى مكانها ..

فجأة رأتهما من خلال باب الغرفة المفتوح يتعانقان ويغيبان فى قبلة طويلة ملتهبة .. أفاقت على أثرها من نومها مذعورة .. بعد ذلك جفاها النوم .. وباتت مسهدة العينين .. وأخذت تسأل نفسها :

- هل زوجها لا يرضى لها الوحدة حقًا ؟ أم تراه يسخر منها ؟ وانتابها الخجل والجزع حقًا ، وانتابتها مشاعر شتى فتكت بأمنها ، فعزمت على ألاَّ ترى صديقه تهامى صديق زوجها مرة أخرى ..

وفى الصباح قامت شاحبة كالموتى ، راجفة كمجرم مهدد ، فتركت البيت ، إلى أين .. ؟ لاتدرى ، ولكنها وجدت نفسها فى مكتب صديق

زوجها تهامى تخبره أنها مسافرة إلى الإسكندرية غداً .

***

فتمنى لها سفراً سعيداً وكان مطرقًا، ولم يكن فصيحًا كالعادة . وقف الشاب كمن فقد شيئًا ثمينًا، وأسرع إلى النافذة فراقب كامليا حتى استقلت (سيارة أجرة) وظل يراقب السيارة حتى اختفت، ولبث بعد ذلك فى مكانه، وشعر بدمه يفور فى عروقه، وبقلبه يبلغ الحلقوم، فعاد إلى مكتبه دهشًا لذلك الشعور المفاجئ، ثم هز كتفيه، وانكب على عمله، فلم يطق، وكلما حصر فكره فيما كان انساب تفكيره حتى اتصل بكامليا، فهز رأسه مغضبًا من نفسه، ومضى يجرى أصابعه فى شعره تهدئة لأفكاره .

ثم نظر إلى صورة صديقه نبيل المعلقة على الحائط فى ازدراء واحتقار لفترة وجيزة ثم أدار بوجهه عنها هنيهة ، ولكن دافعًا خفيًا دفعه إلى أن ينظر إليها مرة أخرى ، فإذا الابتسامة الهادئة اختفت ، وإذا بعينى صديقه ترميانه بالنظر الشزر ، فانزعج وأغضى ، ثم سخر من نفسه ، وحاول أن يستأنف عمله ، ولكن عينيه اتجهتا إلى الصورة فأمعن النظر فيها ليقنع بسخافة ما وهم، على أنه لم يهدأ يومه وظل متضارب النزعات ..

ومرت به الأيام بطيئة وسريعة .

***

جاء وقت كانت تتطلع فيه كامليا إلى المناسبات التى تدعوها إلى لقاء نبيل ، قبل زواجها منه لتسنح لها فرصة الكلام معه ، لأنها لم تكن قد تعرفت عليه بمافيه الكفاية .. لم تره إلاّ الآن فقط بل كانت كذلك تنفس عن قلبها الزاخر الكظيم .

وحقائق النهار تكيف أحلام الليل ، لذلك باتت أحلام كامليا وفيها ذلك الهدوء الذى تسرب إلى نفسها ، فلم تعد ترى المخاوف والمفزعات التى كانت ترى فيها نبيل ، إما على نحو ماتعهده ، أو على نحو مايصوره

لها خيالها فى الأحلام .

ساورت كامليـا أفكار جديدة وتشاغلت بالنهار بما استطاعت من عمل متفانية فيه ، فلما جن الليل عاودتها فأرقتها ، حتى غلبها الإعياء فنامت فإذا بها ترى أنها كـأنها دار تكوينها خليط بين دارها ومكان آخر وزوجهـا ومعه رضوى يتسامران كعادتهما فى انسجام تام ، فاغتاظت منها أليس زوجها ثم ناداها ، لتجلس معها بدلاً من وحدتها ، فـعجبت لذلك عجبًا شديداً منه لـم تجـر عادة بمثـله من قبل ، غيـر أنه كـرر النداء والطلب ، فـدخلت فى تردد ووجل ، وما كاد يحتـويها المكان حتى انصرف زوجها بعـد أن استحال إلى هيكل عظمى كذلك الذى كانت تراه فى عيادته وهو مريض ثم رفع يده إلى السماء وكأنه يودعها . استيقظت كامليا مذعورة

***

ومرت الأعوام حتى انقضت خمسة سنوات .. وفى مساء يوم ونبيل فى مكتبه دخل عليه بعض من أمناء الشرطة يسوقون قطيعًا من أولئك التعسات اللواتى ضلت أقدامهن الطريق فاخترن الحياة تائهات حائرات فى الظلام .

فجأة أحس بصوت خفيض يرتفع همسًا من بين القطيع يقول له :

- أنا رضوى يا حضرة الضابط نبيل، وهذه أمى، وهذه أختى ريم، وهذه أختى وجنات، إنها لم تعد رضوى التى عـرفها ذات يوم وخفق قلبه وتمناها زوجة تقاسمه رحلة العمر، وكان إذ ذاك لم يصل إلى العشرين من عمره.

***

كل شىء فيهـا تبدل ، حتى شعرها كـان فى سواد الليل .. سواد ليل مع الساهرين . ذو حلكة شديدة ينساب فوق كتفيها فى دلال آسر، حتى شعرها هذا لعبت فيه العقاقير فأكسبته صفرة فاقعة بغيضة .

تذكر يوم عـرض عليها قلـبه وحبه واسـمه ، وراحت تتـوسل إليه لكى يخلى سبيلها لتنطلق إلى طفلتهـا المريضة ، وأحس بدموعه تكاد تغلبـه بعد

أن اكتسحه طوفان من ذكرى حزينة فتشاغل برفع بعض الملفات من أمامه على المكتب ووضعها فى أحد الأدراج ..

وتمنى لو يستطيع أن يضع أصبعيه فى أذنيه حتى لا يسمع صوتها الذى شرخته الدموع وهى تقول فى مذلة وانكسار :

- أنا بنت ناس يا سيدى والله العظيم .. أنا نعمت فيما مضى بما لم يتح لكثيرات غيرى ، ورفضت أزواجًا لا ترفض واحدًا منهم إلاَّ مجنونة أو طائشة وقد كنت مجنونة وطائشة معًا ، كنت صغيرة ، لم أكن أتعد السادسة عشر، ولن أنسى ما حييت أحدهم .. كان أرقهم وأحسنهم خلقًا ومركزًا .. ولكن ظروفه حالت بينى وبين الارتباط به ..

وقاوم نبيل دمعة كانت تغلبه ، وقام من مكانه وبارح مكتبه واتجه نحو غرفة أخرى مجاورة والغرفة خاصة بممثل الاتهام العام .

تقدم للعميد السلكاوى رئيس مباحث شرطة الآداب ليستأذنه فى صوت خفيض :

- أحس بوعكة مفاجأة تحول بينى وبين مواصلة العمل اليوم مستأذنًا فى الانصراف إلى دارى لأستريح آملاً تفضلكم بندب أحد زملائى ليحل محلى. وانحنى الضابط نبيل محييًا ، ثم بارح الغرفة بعد أن أذن له رئيسه.

وأسرع الخطى خارجًا إلى الطريق وهو يبتلع دموعه ويندب حبًا يتيمًا غاربًا .

***

صدر الحكم فى قضية الآداب المتهمة فيها والدة رضوى وبناتها الثلاثة بستة أشهر حبس لكل منهن ..

رضوى وهى فى السجن .. سيطرت عليها حالة يأس شديدة .. لدرجة أنها كانت تتمنى الموت فى كل لحظة .. لتتخلص من حياتها وحياة الرذيلة التى انغمست فيها حتى أذنيها .. والكف عن تنقلها بين أحضان الشباب..

وذات يوم أخذت تحدث نفسها قائلة :

- لو كان والد نبيل ووالدته قد وافقا على زواجى منه .. لكنت الآن ملكة متوجة على عرش بيتى .. وكانت قد تغيرت أشياء كثيرة .. على الأقل كنت لا أصبح هنا ..

قالت لها نفسها فى سخرية وتهكم :

- ولكن .. هيهات .. هيهات .. كل هذه أحلام يارضوى .. أحلام اليقظة كما يقولون .. أفيقى من أحلامكِ يارضوى وعيشى على أرض الواقع.. وكفى عن لو . هذه ..

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير ، احرص علىماينفعك ، واستعن بالله ولاتعجز ، وإن أصابك شىء فلا تقل لو أننى فعلت كذا كان كذا وكذا ، ولكن قل قدَّر الله وماشاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » .

وفى النهاية استغفرت ربها وطلبت منه التوبة والمغفرة . وأخذت تهذى وتقول : هذه إرادة الله . قَدَّر اللهُ وماشاء فعل .

ثم استطردت لتكررها عدة مرات :

قَدَّر اللهُ وماشاء فعل . قَدَّر اللهُ وماشاء فعل . قَدَّر اللهُ وماشاء فعل . قَدَّر اللهُ وماشاء فعل . وهذا قضاؤه ولابد أن نرضى بقضاء الله وقدره . ولانسأله رد القضاء .. بل نسأله اللطف فيه ..

مسكينة رضوى .. لقد عانت الكثير .. بل الكثير جداً من الآلام من أجل حبها لنبيل .. لقد تحملت فوق مايحتمله كل البشر لقد ذاقت العذاب والذل والجوع والحرمان من بعده .. لك الله يارضوى .

***

عندما فقدت رضوى حبيبها نبيل .. فقدت الأمل فى الحياة .. وأصيبت

بالكآبة والوجوم ..

إن رضوى فيها شيء يميزها عن بقية النساء ، شيء لاتراه في وجهها ولا في جسدها ، ولكنك تحس به يندفع من عينيها ، شيء يدعوك إلى أن تبتسم لها ثم تشتهيها .. وكيف لاتشتهيها وهي امرأة نادرة الجمال ، في عينيها الجميلتين تهافت لذيذ هادئ وفي شفتيها المكتنزتين نداء محبب لايقاوم .. إن هذه المرأة ينظر لها كل من تمر أمامه من الرجال بجميع أعمارهم ويسبح بجمالها .. وكان من هؤلاء الرجال نبيل .. وكان قد رآها متهافتة الشفتين .

كانت هيفاء ، حسناء ، في عينيها ، حور وخفر وفيها عمق وأشواق.. تشع منها أضواء شتى .. فيها الرقص الثائر .. وفيها الهادئ الوادع وبينها الشارد النافر .. وفيها المستجيب الحزين وما امتزج به الشك باليقين ..

إن حادث اغتصاب زوجها لها في ليلة زفافها .. وحادث طردها من بيت نبيل وعدم موافقة أهله على الزواج منها وحرمانها منه .. قد جعلاها تنتقم لنفسها من كل من تصادفه من جنس الرجال .. وأخذت أن توقع بهم في حبها الواحد تلو الآخر .. كالفراشة التي تقع في النار .. كانت تمثل على كل منهم الحب حتى يقع في غرامها وحبها وتعطى له الحب بسخاء شديد . وبعد ذلك تسلبه قلبه وعقله ومشاعره وأحاسيسه .. وكل ماله .. وعندما تشعر بأنه لايمكن له الاستغناء عنها .. وأنها أصبحت لازمة له مثل الهواء والماء ..

هنا كانت تعطيه الحب زيفًا بالقطارة .. وإذا ملكته من نفسها مرة لم تملكه الأخرى .. وتتركه يتعذب ويجرى وراءها كالكلب لاهثًا وهي لاتعبأ به ويحاول مرات ومرات .. ولكنها كانت لاتعبأ به ولابمحاولاته .. وفي كل محاولة كانت تتركه يتعذب من حرمانه منها وهجرها له وهي تشعر بلذة الانتقام ونشوة الانتصار ..

***

إن حـادث اغتـصـابهـا فى ليلة زفـافهـا وحـادث طردها من بيت نبـيل وحرمـانها منه .. إن هذين الحادثين كـانا يمدانها دائمًا بقـوة طاغية مـاكانت تحسهـا من قبل .. وتفعمهـا بالغضب ، وتدوى فى أغوارها صرخـة مكتومة جعلـتها ثائرة دائـمًا على الرجال .. وتمـد ثورتها بوقـود جديد للانتـقام من الرجال . إنها تنتـقم من الرجال فى صورة الرجال الثـلاثة الذين ظلموها .. من زوجهـا لاغتصابهـا .. من والد نبيل لأنه حرمـها من ابنه .. ومن والدها لأنه أنجبها مع عشرة من البنات ..

***

ومرت بها الأيام وهى كل يوم تفقد شيئًـا من نفسها . وذات يوم ناقشتها نفسها فى موضوع الانتقام من الرجال حيث قالت :

- إنك ضللت طريق الانتقام يارضوى .. لقد سيطرت عليك الرغبة فى الانتقام سـواء من الرجال أو من العالم ككل .. أقولهـا لك مرة أخرى إنك ضللت طريق الانتـقام يارضـوى .. فبـدلاً من أن تنتقـمى من الرجال فـقط انتقمتِ من نفسك أيضًا وأنت لاتشعرين ..

قالت رضوى لنفسها وهى مهمومة وكأنها تحمل أثقال كل العالم :

- كيف ..؟

قالت النفس :

- هذا ماكان يجب أن يكون ..!!

قالت رضوى :

- قول لى أنت .. ماذا كنت أفعل .. ؟؟

قالت النفس :

- كنت تستـطعين الانتقام بمحـافظتك على كيـانك كإنسـانة .. بل كان ممكنًا أن تحافظى على ما بقى من نفسك .. فى محـاولة لكى تعيدى مافقدته ولاتسلمى نفسك للرجال .. معتزة بنفسك كشىء ثمين لايجب التفريط فيه

أكثر من ذلك ..

كان يجب ألاَّ تنحدرى وتتمادى حتى تصلى إلى الحضيض هكذا ..

وأخذ النقاش بين رضوى ونفسها يشتد حتى علا لهيبه إلى كبد السماء، ولم تخرج النفس من هذه المناقشة بأى نتيجة .. حيث كانت رضوى تكابر وتتمسك وتتمسك برأيها حتى لو كان خطأ .

***

ومرت الأشهر الستة .. وخرجت أم رضوى وبناتها الثلاثة رضوى وريم ووجنات بعد قضاء مدة العقوبة ..

وفى بيت أم رضوى حدثت مشادة بينها وبين زوجها والد البنات حيث كان كل منهما يلقى بتبعية ما وصلت إليه الأسرة من انحدار وانحلال وفساد وفجور ومجون على الآخر ..

قالت له زوجته :

- أنت السبب .. أنت الذى أهملتنى ونسيت أن الله خلقنى امرأة بغرائز ومشاعر وأحاسيس .. ماذا كنت أفعل وأنت لا تقربنى .. ؟

قال الزوج : من الذى جعلنى أهملك .. أنت نفسك التى جعلتنى أهملك ولا أقربك ..

قالت الزوجة : أنا التى قلت لك أهملنى ولا تقربنى ..؟

قال الزوج : نعم ..

قالت الزوجة : كيف ..؟

قال الزوج : بحملك المتكرر يا ست هانم .. وإنجابك كل تسعة أشهر بنت .

وتركت لنفسك العنان فى الحمل وياما قلت لك نظمى نسلك .. وأنت تكابرين وتعاندين وتعملين أذنًا من طين وأذنًا من عجين .. وكل هذا من أجل إنجاب الولد .. (الصبى) .. وظللت على حالك تكابرين وتعاندين

حتى أصبح هذا حالنا لا يسر عدواً ولا حبيبًا وجعلتينى بعنادك هذا أدور حول نفسى .. وأدور فى الساقية كالثور لكى أطعم أفواه الإناث التى أنجبتهن لى. جعلتنى أعمل ليل نهار فى ثلاث جهات يوميًا دون راحة ..

***

أخرج من البيت فى السادسة صباحًا وأعود فى الثالثة من صباح اليوم التالى منهك القوى وكال من العمل مجهد الجسد والنفس وكل ما أريده هو وضع رأسى على أقرب وسادة لأروح فى نوم عميق .. وطول اليوم بليله أجرى وأنا ألهث ما بين الجهات الثلاث لكى أصل فى الموعد المحدد لى لاستلام العمل فى كل جهة من هذه الجهات حتى لا يخصم منى أجر اليوم قولى لى أين الوقت الذى أراعيك فيه .. وأين الوقت الذى أراعى فيه بناتى واطمئن عليهن .. ودون إرادتى تركتهن لك كأمانة .. وأنتِ للأسف لم تصونى الأمانة .. لم تكونى على مستوى الأم التى وصفها الشاعر حافظ إبراهيم رحمة الله عليه حيث قال :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق

ولكنك كنت أما فاسدة ومنحلة فتأثرن بك وبفسادك وانحلالك وأصبحن مثلك .. مثل مثلهن الأعلى فى الفساد والانحلال ..

ماعدا ابنتى الطبيبة غفران .. هى الحسنة الوحيدة فى بناتك ..لأنها لم تتأثر بانحلالك وفسادك .. وظلت بطهارتها ونقائها حتى تزوجت .. الله حماها من فسادك وانحلالك .. إنها وردة نبتت وسط مستنقع من الوحل . ورغم ذلك كانت أوراقها نضرة ناصعة زاهية .. لم تتلوث من الوحل الذى حولها وأيضًا قلبها كان ناصع البياض لم يتلوث هوالآخر من الوحل..

***

أما باقى البنات فإن أملى كان كبيراً فى أزواجهن فى أن يصلحن من حالهن ولكن بكل أسف .. أملى خاب لأنك أسأت اختيارهم لبناتك .. لم

تدقـقى عند تقـدمـهم للزواج من بناتك .. ولم تـتريثـى بعض الوقت لكى تعرفى الصـالح منهم من الكالح .. وسوء اخـتيارك يجـعلنى أتأكد بأن هذا المثل صحيح إن الطيور على أشكالها تقع . لأن أزواج بناتك على شاكلتك فاسدون ومنحلون .

كان كل همك أن تتخلصى منهن بأى ثـمن ليخف الحمل علينا .. أليس كذلك

قالت الزوجة وهى مهمومة :

- نعم .

قال الزوج مستطرداً :

- من الذى أتى بهذا الحمل الثقيل .. ؟

ألست أنت المسئولة عن إنجاب هذا الحمل .. إحدى عشـر أنثى يا أرنبة هانم ...على أمل وصول (الصبى) ورغم ذلك لم يأت الصبى ..

قالت الزوجة بعد تنهيدة وهى مهمومة تنم عن شدة الندم :

- معك حق فى كل ما قلت يا زكريا ..

***

- أنا السـبب فى كل النواكب الـتى أتت لنا بإنجـاب كل هذا العـدد من البنات وجعلتك تسـابق الريح لجلب ما يسد رمقـهن من القوت الضرورى .. وجـعلك تهملنى رغـمًا عنـك ورغم إرادتك .. وجرفنى تيـار السقـوط الذى لا يرحم .. وأعتـرف الآن أننى المسئـولة عن فساد البنات .. وأعـترف أيضًـا أننـى كنت مـخطئـة فـى مكابرتى وعنادى وإصـرارى على إنجـاب الصبى.. ولد أو بنت نعمة من عند الله ..

لماذا نتبطر عليـها ، المثل يقول : «البطران يلاق القطران» لماذا لـم نحـمده ونشكره على خـير عطائه وأدينى لقـيت القطران مانابنى غـير أنى أفـسدت بناتى وجـررتهن إلى طريق الفسـاد والانحلال وشـجعـتهن عليـه ؛ إرضاء

للعقدة الغريزية التى بداخلى وبداخل كل إنسان ، حتى لا أكون أنا الوحيدة الفاسدة والمنحلة حتى لا يكون أحد أحسن من أحد تمامًا كالفاشلة فى حياتها، التى يعز عليها أن تكون الوحيدة الفاشلة ، فتحول بنى جنسها الموجودات حولها إلى فاشلات بهذه العقدة الغريزية غصب عنها ودون إرادتها .

***

لقد ضعفت وعجزت عن مقاومة رغبتى الملحة للرجل .. علمًا بأن هناك نساء كثيرات ظروفهن مثل ظروفى تمامًا .. أهملهن أزواجهن وذلك بسبب السفر إلى خارج القاهرة أو لأى سبب من الأسباب للسعى وراء الرزق قاومن رغباتهن الملحة للرجل .. لم يضعفن وظللن صابرات، طاهرات ، شريفات عفيفات لم يدنثن أعراض أزواجهن حتى تحسنت ظروفهن وعاد أزواجهن ليعوضون إهمالهن ويمتعوهن متاعًا جميلاً . وعندى المثل الأعلى فى ذلك .. والذى كان يجب أن أحتذى به ابنتى الصالحة الدكتورة غفران وكنت أنا الخطأ.. وهى التى كانت الصح هى وغيرها من النساء الشريفات.

بالرغم أن ظروفهن كانت مثل ظروفى .. لم يسقطن ولم يجرفهن تيار الرذيلة مثلى .. لقد قاومن رغبتهن الملحة المجنونة بالصبر والصلاة والصوم.. لأن الوازع الدينى عندهن كان قويًا جدًا .. أما عندى فكان ضعيفًا جدًا جدًا .

قالت وهى تبكى بكاء مريرًا:

والذى يثير الضحك أن اسمى شريفة (ساخرة) أين هو الشرف .. إنه اسم على غير مسمى .

- لقدعجزت فى أن أكون طاهرة مثلهن .. لقد جنيت على نفسى وعلى بناتى وعليك ..

قال متعاطفًا معها :

- أتبكين يا شريفة ..؟

- نعم أبكى ندمًا على كل ما ارتكبت من ذنوب .. لعل دموعى هذه تغسل كل ذنوبى ويقبل الله توبتى ..

- سوف يقبلها إن شاء الله .. البكاء والندم هما أول الطريق للتوبة ..

- لقد أخطأت فى حقك كثيراً .. فهل تسامحنى وتغفر لى ؟

- سامحتك وغفرت لك .. وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر لك .. ويقبلك مع التائبات .

- نعم أعترف أننى كنت مخطئة .

قال فى تباسط وهو يضحك ليخرجها من جو الكآبة والحزن :

- تخطئى أنتِ وأنا الذى أدفع الثمن ..

قالت فى تباسط لتشاركه تباسطه :

- أنت لم تدفع الثمن وحدك .. فقد دفعته أنا أيضًا معك مضاعف بحرمانى منك ..

- وحرمانى أنا منك ليس له حساب .. ؟ ألم تفكرى فيه ..؟

- فكرت فيه أكثر من مليون مرة .. وأعدك من الآن سوف أعوضه لك.. ونستمتع بحياتنا فى الأيام المقبلة..

- دون إنجاب ونستكف بالخمسة بنات الصغيرات الباقيات من الإحدى عشر بنت .. ومعهن ياسر ابن وجنات الذى عوضنا به الله بعد طول صبرنا وشوقنا الكبير للولد ..

- بدون إنجاب .. وياليت كل الناس من حولنا تستفيد من تجربتنا وينظمون نسلهم ..

وفى النهاية أقول للجميع ليتنا نحيا الفضيلة قبل الرحيل .. ○

تمت بعون الله وتوفيقه

من قائمة الإصدارات الأدبية

رواية .. قصة

العنوان	المؤلف
ليلة العشق والدم	إبراهيم عبد المجيد
حمدان طليقاً	أحمد عمر شاهين
تباريح الوقائع والجنون	إدوار الخراط
رقرقة الأحلام الملحية	إدوار الخراط
مخلوقات الأشواق الطائرة	إدوار الخراط
لا أحد يحبك	أمانى فهمى
دنا فتدلى (من دفاتر التدوين ٢)	جمال الغيطانى
مطرية الغروب	جمال الغيطانى
دموع إيزيس	حسنى لبيب
أحزان رجل لا يعرف البكاء	خالد غازى
الحب والتتار	خالد عمر بن ققه
أيام الفزع فى الجزائر	خالد عمر بن ققه
يومية هروب	خيرى عبد الجواد
مسالك الأحبة	خيري عبد الجواد
العاشق والمعشوق	خيري عبد الجواد
حرب اطاليا	خيري عبد الجواد
حرب بلاد نمنم	خيري عبد الجواد
حكايات الديب رماح	خيري عبد الجواد
الطريق والعاصفة	رأفت سليم
فى لهيب الشمس	رأفت سليم
اركبوا دراجاتكم	رجب سعد السيد
أنا كنده	كيروجا ترجمة : رزق أحمد
سيرة عزبة الجسر	سعد الدين حسن
شجرة الخلد	سعد القرش
شهقة	سعيد بكر
أيام هند	سيد الوكيل
الممنوع من السفر	شوقى عبد الحميد
الدميرة	د.عبد الرحيم صديق
جسد فى ظل	عبد النبى فرج
الفوز للزمالك والنصر للأهلى	عبد اللطيف زيدان
ليس هناك ما يبهج	عبده خال
لا أحـد	عبده خال
صعيدى صنع	د. عزة عزت

العنوان	المؤلف
الشاعر والحرامى	عزت الحريرى
فى انتظار ما لا يتوقع	عصام الزهيرى
إينارو	د. على فهمى خشيم
تحولات الجحش الذهبى	لوكيوس ابوليوس ترجمة د.على فهمى خشيم
سراديب	عفاف السيد
الزجاج المكسور	د . غبريال وهبه
ينابيع الحزن والمسرة	فتحى سلامة
يوميات عابر سبيل	فيصل سليم التلاوى
وتر مشدود	قاسم مسعد عليوة
خبرات أنثوية	قاسم مسعد عليوة
حب وظلال	كوثر عبد الدايم
ترانزيت	ليلى الشربينى
مشوار	ليلى الشربينى
الرجل	ليلى الشربينى
رجال عرفتهم	ليلى الشربينى
الحلم	ليلى الشربينى
النغم	ليلى الشربينى
الخرابة ٢٠٠٠	محمد الشرقاوى
كوميديا الإنسجام	محمد بركة
أشياء لا تموت	محمد صفوت
إلحاح	محمد عبد السلام العمرى
بعد صلاة الجمعة	محمد عبد السلام العمرى
الخروج إلى النبع	محمد قطب
رشفات من قهوتى الساخنة	محمد محى الدين
الحبيب المجنون	د. محمود دهموش
فندق بدون نجوم	د. محمود دهموش
الهروب مع الوطن	ممدوح القديرى
نسيج الأسماء	منتصر القفاش
ثلاث حقائب للسفر	منى برنس
حافة الفردوس	نبيل عبد الحميد
ديسمبر الدافئ	هدى جاد
خلف النهاية بقليل	وحيد الطويلة
فرد حمام	يوسف فاخورى

شعر ..

أول الرؤيا	إبراهيم زولي
رويدا باتجاه الأرض	إبراهيم زولي
قصائد حب من العراق	البياتي وآخرون
بدلا من الصمت	درويش الأسيوطي
من فصول الزمن الرديء	درويش الأسيوطي
تماما إلى جوار جثة يونسكو	رشيد الغمري
كأنها نهاية الأرض	رفعت سلام
الألوان ترتعد بشراهة	شريف الشافعي
صلاة المودع	صبري السيد
دنيا تناديا	طارق الزياد
تلف	ظبية خميس
البحر، النجوم، العشب في كف واحدة	ظبية خميس
كتاب الأمكنة والتواريخ	عبد العزيز موافي
حواديت لفندى	عصام خميس
سيرة الماء	د . علاء عبد الهادي
راتب الألفة	علوان مهدي الجيلاني
إضاءة في خيمة الليل	علي فريد
نصف حلم فقط	عماد عبد المحسن
عطر النغم الأخضر	عمر غراب
سراب القمر	فاروق خلف
إشارات ضبط المكان	فاروق خلف
أوراق مسافر	فيصل سليم التلاوي
إذهب قبل أن أبكي	د . لطيفة صالح
الغربة والعشق	مجدي رياض
مشاعر همجية	محسن عامر
غربة الصبح	محمد الفارس
ونس	محمد الحسيني
ليالي العنقاء	محمد محسن
العجوز المراوغ يبيع أطراف النهر	نادر ناشد
هذه الروح لي	نادر ناشد

مسرح ..

هذه الليلة الطويلة	د.أحمد صدقي الدجاني
اللعبة الأبدية ... (مسرحية شعرية)	محمد الفارس
مملكة القرود	محمود عبد الحافظ

دراسات ..

هاجس الكتابة	د . أحمد إبراهيم الفقيه
تحديات عصر جديد	د أحمد إبراهيم الفقيه
حصاد الذاكرة	د أحمد إبراهيم الفقيه
الوقوف على الأمية عند عرب الجاهلية	أحمد الأحمدين
قراءة المعاني في بحر التحولات	أحمد عزت سليم
ضد هدم التاريخ وموت الكتابة	أحمد عزت سليم
اللغة والشكل	أمجد ريان
المثقفون العرب والتراث	جورج طرابيشي
ثقافة البادية	حاتم عبد الهادي
المثل الشعبي بين ليبيا وفلسطين	خليل إبراهيم حسونة
أدب الشباب في ليبيا	خليل إبراهيم حسونة
العنصرية والإرهاب في الأدب الصهيوني	خليل إبراهيم حسونة
أباطيل الفرعونية	سليمان الحكيم
مصر الفرعوبية	سليمان الحكيم
البعد الغائب: نظرات في القصة والرواية	سمير عبد الفتاح
رواد الأدب العربي في السعودية	شعيب عبد الفتاح
البواكير في القصة القصيرة	شوقي عبد الحميد
رحلة الكلمات	د علي فهمي خشيم
بحثا عن فرعون العربي	د علي فهمي خشيم
أعلام من الأدب العالمي	علي عبد الفتاح
هيمنجواي حياته وأعماله الأدبية	د غبريال وهبة
زمن الرواية: صوت اللحظة الصاخبة	مجدي إبراهيم
في المرجعية الاجتماعية للفكر والإبداع	محمد الطيب
الجات والتبعية الثقافية	د. مصطفى عبد الغني
أدب الطفل العربي بين الواقع والمستقبل	ممدوح القديري
الرواية العربية: رسوم وقراءات	نبيل سليمان

بالإضافة إلى : كتب متنوعة : سياسية - قومية - دينية - معارف عامة - تراث - أطفال .
خدمات إعلامية وثقافية (اشتراكات) : ملخصات الكتب - وثائق - النشرة الدولية - دراسات عربية - معلومات - ملفات صحفية موثقة.

الآراء الواردة في الإصدارات لا تعبر بالضرورة عن آراء يتبناها المركز

المؤلف

- عضو اتحاد الكتاب
- عضو نقابةبب المهن السينمائية "شعبة سيناريو"
- مؤلفاً دراميا وكاتب سيناريو بالتليفزيون
- مؤلفاً درامياً بالإذاعة .
- شاعر غنائى
- علاوة على نشاطه فى السينما والتليفزيون والإذاعة والشعر والأغنية
- صدر له كتابه الأول "اللاعبة بالنار" (رواية) عام ١٩٨٦ ،

  صدر له كتابه الثانى "المراهقة والعجوز" (رواية) عام ١٩٨٨ ،

  صدر له كتابه "أنا لست مجنونة" (رواية) عام ١٩٩٨ ،

  صدر له تابه الرابع "ألم يخلقها الله امرأة" (رواية) عام ١٩٩٩
- ناقش الثلاثة كتب الأولى الأساتذة

  الدكتور حسين فوزى النجار

  الدكتور : عبد العزيز شرف

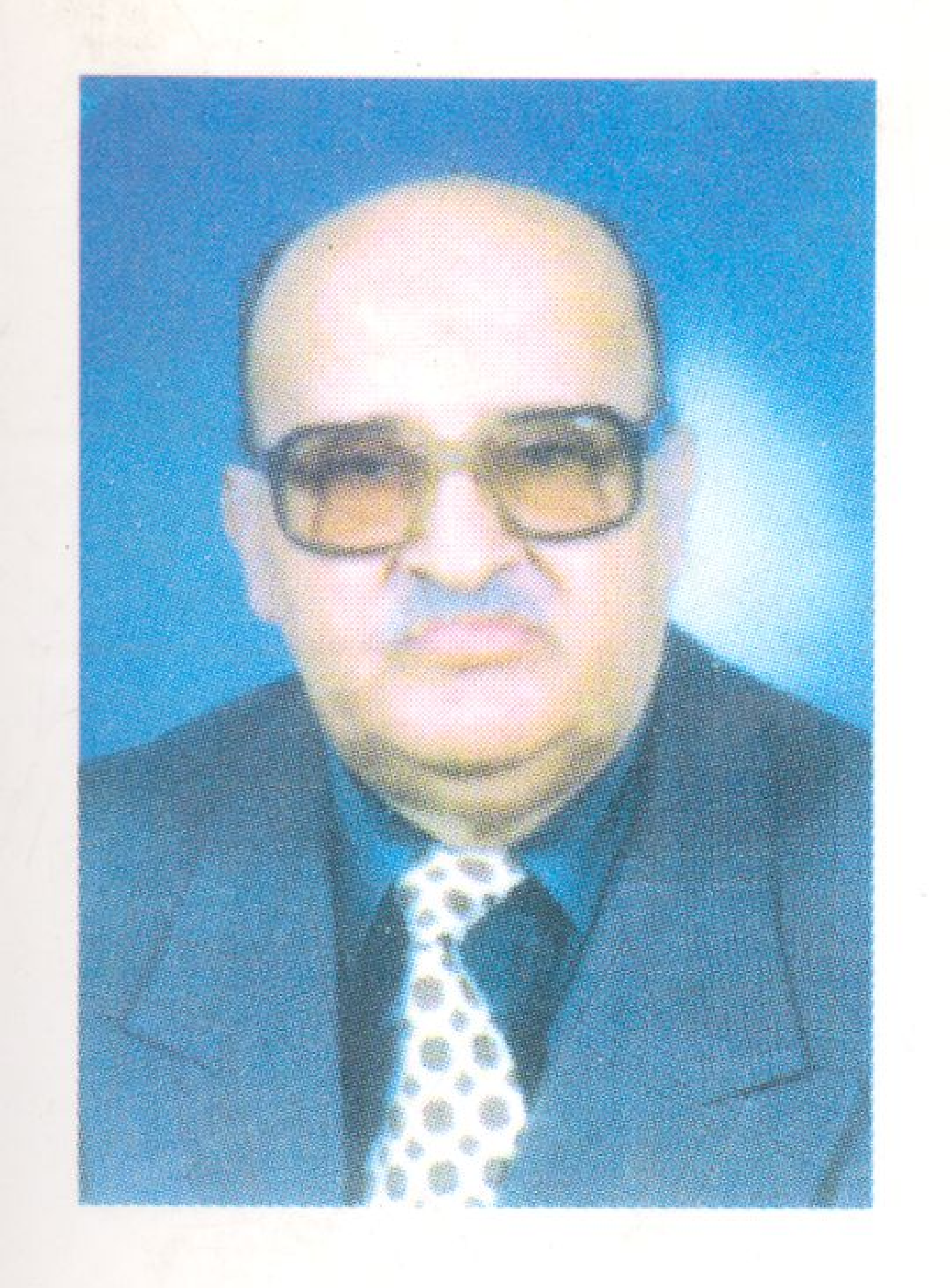
  الدكتور : سيد حامد النساج

  الكاتب الأديب . رستم كيلانى

  الكاتب الأديب : فتحى سلامة
- تحت الطبع : خمسة كتب - وسلسلة كتب قصص تمثيلية للأطفال بعنوان حكايات (عم أمين)

●●●

وعنوانه : القاهرة - العباسية - شارع عبادة الأنصارى عطفة الشريف رقم ٤



ومن أسباب ظاهرة الزواج العرفى بين الشباب فى الجامعات الفسوق والانحلال الذى يأتى من بعض زيجاته لسوء التربية وضعف الوازع الدينى عند الأهل وأبنائهم من الشباب وانعدام الأخلاق .. وتهاون الأسرة مع أولادهم .. الذين يسمحون لهم بكل تقليعة أو موضة جديدة .. آتية من الدول الأوربية الذين يريدون هدم الدين الإسلامى .. والقضاء على دولة الإسلام التى يخافونها ويخافون قيامها وعلى رأسهم أمريكا وذيلها إسرائيل التى تتربص بنا وبأبنائنا المستهدفين .. كما أن الأسرة أيضًا مسئولة عن ضياع بعض الشباب بسوء تربيتهم لهم وتساهم مساهمة غير مباشرة فى النكبة الكبرى التى تسمى بالزواج العرفى وأنا أسميه زواج مراهقة تتحكم فيه الغريزة إلى حد كبير .. والأسرة مسئولة عن ذلك .. بتهاونهم مع بناتهم والسماح لهن بارتداء ملابسهن التى لا تتفق مع ديننا الحنيف.. حيث إنها فى بعض الأحيان تكون خارجة عن حدود اللياقة والأدب ..

